الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

The People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

المركز الجامعي صالحي احمد النعامة Naama University centre salhi Ahmed

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص دراسات نقدية بعنوان:

تجليات الفلسفة الوجودية في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج

ميدان اللغة والأدب العربي شعبة الدراسات النقدية تخصص نقد حديث ومعاصر

تحت إشراف

الدكتور. بكري هشام

من إعداد الطالبة

خوان شهرزاد

أمام اللجنة المكونة من السادة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
د. عبدالرحمن بوترعة	أستاذ محاضر-أ-	رئيسا
د. هشام بكري	أستاذ محاضر-أ-	مشرفا ومقررا
أ.د. عبدالمجيد رخروخ	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

الموسم الجامعي 1446 هـ الموافق 2024/2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

قسم اللغة والأدب العربي

معهد الآداب واللغات

تصريح الشرف

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : حنان سمرة

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 206174177

الصادرة بتاريخ : 2020 / 11 / 17

المسجل (ة) بكلية / معهد : لغة وأدب عربي

قسم : دراسات نقدية ومعاصرة

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : تجليات العلامة الوجودية في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2025/06/18

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

الحمد الله ربي العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

نحمد الله جل وعلا حمدا كثيرا على توفيقه لي في دراستي، ونشكر من بعده من ساعدني في بحثي هذا، لأنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله .

أتقدم بالشكر الخالص والعرفان الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل "بكري هشام " الذي كفاني توجيها ونصحا وتفضل بالإشراف عليا في مراحل إنجاز هذا البحث فكان نعم العون بعد الله سبحانه وتعالى

كما أتقدم بالشكر الجزيل و الامتنان العظيم إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة.

الإهداء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة على المصطفى –ﷺ-

أما بعد:

الحمد لله حبا وشكرا و امتنانا على البدء والختام.

أهدي عملي هذا لنفسي أولا بعد مسيرة دراسية حملت في طياتها الكثير من الصعوبات والمشقة والتعب ها أنا اليوم أقف على عتبة تخرجي أقطف ثمار تعبي وأرفع قبعتي بكل فخرا أهدي تخرجي وثمرة جهدي وفرحتي

إلى النور الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفي نوره بقلبي الذي توسده التراب قبل أن يحقق أمنيته أن يشاهدني خريجة، أسأل الله أن يجعل هذا التخرج عملا صالحا يكتب في ميزان حسناتك وأن يكون سببا في رفع درجاتك في الجنة أبي رحمك الله وأسكنك فسيح جنانه

إلي من حملتني في بطنها وهنا على وهن، ولا زالت تحملني برعايتها وحنانها إلي من الجنة تحت أقدامها

إلى رمز الصمود والصبر والعطاء بغير حساب إلى من بسهرها ودعائها تفتح الأبواب إلى من علمتني كيف أكون قوية في وجه المتاعب والصعاب، أمي حنونة

إلى كل من أعتمد عليه في كل صغيرة وكبيرة.....أخي المحترم

إلى خليلات فؤادي وعيني التى أرى بهن الحياة والصدر الذي أستند رأسي عليه أخواتي لبنى وأميرة حفظهما الله

إلى الذي دعمني وساندني وأعانني في إتمام بحثي هذا وكان نعمة الأخ عبد الحليم أطال الله في عمره

إلى من قضيت معهم أجمل أيامي وعشت معهم أحلى ذكرياتي صديقاتي رعاهم الله وحفظهم

إلى كل من سهر وبدل ولو مقدار ذرة في سبيل وصولي إلى هنا وتبقى قائمتي هاته مفتوحة لاتسعني ولا تسعفني حتى الكلمات

خوان شهرزاد

المقدمة

المقدمة

اتجهت الدراسات النقدية للأعمال الإبداعية المعاصرة إلى الانفتاح على عوالم دراسية وحقول معرفية مختلفة، حسب طبيعة الاعمال الأدبية التي باتت تتفاعل بدورها مع معارف متعددة، تعكس سيمات بما يعرف بما بعد الحداثة، وتقديم رؤية فلسفية عميقة، للواقع السياسي والاجتماعي مما يوسع آفاق الفهم والتأمل لعالم والوجود، من منظور أدبي.

متجدد، تجسد في سرديات تعكس في رؤيتها قضايا الانسان والوجود بطرق متباينة، وتصور تعقيدات الحياة وتحدياتها، ليظهر البعد الفلسفي في الرواية العربية الحديثة متأثرا بأعمال روائية غربية، تبرز تجارب الفرد والمجتمع في سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي ، أين أصبحت تيمة الموت وسردية العنف، الرصيد الأكثر غنى وتعدد في المضمون الروائي، وهذا ما لخصته التجارب الإبداعية الجزائرية التي بدورها جسدت هذا النمط من الكتابة التي لا تفارق العنف الموضوعي حتى تتبنى عنفا آخر، بدءا من عنف المقاومة للاستعمار والعنف السياسي وصولا لعنف الحركات الأصولية المتطرفة في صدامها مع الواقع السياسي، الذي جرّ البلاد إلى عشرية سوداء، آلقت بظلالها على الأدب، فكان خريف أكتوبر1988 الحدث الأبرز لهذا التحول السردي في نقله للواقع المأساوي للحياة وتشظي المجتمع جراء تضاؤل هامش الحرية، وتصاعد وتيرة العنف.

هذا ما أنتج اعمال روائية ذات بعد فلسفي في منحاها الوجودي وبعدها الإنساني، ضمتها مبادئ المدرسة الوجودية التي كان لها دور فعال في بلورت الفكر الغربي والعربي، لتحاكي النصوص الروائية هذا الفكر اعتمادا على مبادئه التي شكلت بينة الخطاب السردي الذي حمل مفاهيم عِدّة منها الموت والسقوط وأصالة الانسان الوجودية والحرية والتشرد والعبث واللامعنى والتفاهة، فهي مفاهيم ركز عليها الوجوديون ووظفها الروائيون في أعمالهم الإبداعية، ولعل هذه المفاهيم الفلسفية التي ميزت الرواية المعاصرة، وتبنيها لمبادئ اِنسانية ضمنتها الاعمال السردية، التي شملت ابعاد فنية وجمالية وأخرى فكرية وإنسانية، وكان هذا سعينا والهدف في الكشف على الأثر الوجودي في العمل الإبداعي.

على إثر هذا كانت رغبتنا في الدراسة تتمحور حول الابعاد الفلسفية في العمل الروائي المُقترِن بأحداث العشرية السوداء والراصد لوقائعها، والوقوف على الأثر الفلسفي المتمثل في الوجودية التي رسمت صورة الواقع المأساوي وطرقت البعد الإنساني والحرية الفردية، عند الروائي واسيني الاعرج الذي حظي باهتمام كبير من قبل الباحثين لأعماله الروائية التي صورة الواقع المعيش.

ولأهمية الموضوع اعتمدنا في هذا على إحدى الأعمال الروائية التي قدمت صورا للمأساة الوطنية، ونادت بالحرية فكانت رواية "سيدة المقام" للروائي واسيني الاعرج موضع البحث لأهميتها الكبيرة، كونها نادت بالحرية الفردية وصورت منحى انساني وبعد فلسفي، وعلى هذا الأساس وقع اختيارنا للرواية، وبتوجيه رشيد من الأستاذ المشرف قمنا بدراسة هذا العمل الفني السردي من المنظور الفلسفي الموسوم بـ: (تجليات الفلسفة الوجودية في رواية سيدة المقام لواسيني الاعرج) وللبحث في هذا الموضوع وكشف خباياه نطرح الاشكاليات التالية:

- إلى أي مدى اعتمد واسيني الاعرج على الفلسفة الوجودية في عمله السردي؟ وماهي ملامح هذه المدرسة الفلسفية في رواية "سيدة المقام"؟ وما هي العوامل التي دفعت بالكاتب إلى الادب الوجودي؟

لتتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من الفرضيات نذكر منها:

- ماهي الفلسفة الوجودية وما تأثيرها على الفكر والأدب؟

- ماهي الملامح والإشارات الدالة على الفلسفة الوجودية في رواية "سيدة المقام"

- إلى أي مدى موظف تم توظيف التيار الوجودية في الأعمال الإبداعية العربية؟

- وهل كان لها الأثر في تشكيل هوية سردية عربية؟

- وماهي المرتكزات الوجودية التي اتكأ عليها واسيني في رواية سيدة المقام؟

وللكشف عن مظاهر الفلسفة الوجودية وتجلياتها في اعداد البحث والإحاطة بها اِتجهت الدراسة إلى الاعتماد على منهج عَلى المَنْهج التكاملي يعتمد على الوَصْف

والتحليل، واستنادا على المنهج التارِيخِي، مُنْطلِقين في هذا البحث بخُطة تَطَلَبَها

الموضوع، حيث قسم البحث إلى مقدمة وَفَصّلَيْن رَئِيسِيَيْن، وخاتمة.

جاء الفصل الأول نظري موسوم بـ :(الوجودية والإبداع الفني) ضمن أربعة مباحث: المبحث الأول عبر عن الفلسفة الوجودية في الفكر الغربي، تعريفها ونشأتها وأبرز أعلامها وأفكارها، أما المبحث الثاني معنون بالفلسفة الوجودية في الفكر العربي، تناولنا فيه استقبال الفلسفة في السياق العربي، وتمثيلات الوجودية في الرواية العربية، وسيماتها المتكررة في الرواية العربية، ويلي هذا مبحث ثالث جاء في الفلسفة الوجودية في الفكر العربي والرواية العربية المعاصرة، مستهلين فيه تمهيدا عن الوجودية

والوعي العربي، و تمثيل الفلسفة الوجودية في الرواية العربية في احضار نماذج إبداعية، أما المبحث الرابع عالج أثر الفلسفة الوجودية في تشكيل الهوية السردية لدى الروائي العربي، و التقاطعات بين الفلسفة الوجودية والرواية العربية، والرواية كأداة تفلسف وجودي، لنختم الفصل بخلاصة.

أما الفصل الثاني في التطبيق معنون بـ : (أثر الوجودية في رواية سيدة المقام) جاء في أربعة مباحث، المبحث الأول في سردية العنف وحتمية الموت، والمبحث الثاني تناولنا فيه السرد وما وراء الحدث من منطلق العبث واللامنطق، وجاء في المبحث الموالي المنحى الإنساني من المنظور الوجودي واتجاهات الفكر والأدب، وفي المبحث الأخير تطرقنا إلى الحرية والمسؤولية في الفكر والأدب مستدلين بنماذج من الرواية وإسقاطات فلسفية وجودية وصولا إلى خاتمة كانت محصلة لأهم النتائج التي خلص إليها البحث وتبن أن الواقع المأساوي كان يستدعي رؤية أدبية ذات بعد فكري تصور الواقع المعيش، وتأتي في الختام قائمة المصادر والمراجع وملحق.

ومِن الدِراسَات السَّابِقَة لمقاربة للبَحث التَي تتَفقُ مَعهُ مِن حَيث المَوضُوع وتَخْتلِف باخْتِلاف المُدونة ما يُفضِي إلى اخْتِلاف النَموذَج التَطبِيقي نجد الدراسات الوجودية على الجانب الشعري والروائي بشكل قليل نذكر منها:

- دراسة قام بها " علي خضري" نشرت في مجلة العلوم الإنسانية بتاريخ 01 جوان 2021 موسومة ب " ملامح الوجودية وتمظهراتها في شعر بدر شاكر السياب" كانت لتسليط الضوء على مدى تأثير هذه المدرسة في اشعار الشاعر وذلك في نظرته لقضايا الانسان.

- ودراسة لباحثتين (نسرين بعيسى- هنية جوادي) بعنوان «الحس الوجودي في رواية هلابيل» مجلة قراءات العدد 01-2022.

واعتمدنا في البحث على جملة من المصادر والمراجع ذات طابع فلسفي من بينها:

- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر، عبد المنعم الحفني، ط1، 1964

احمد فلاق عروات، فكرة الموت في التراث العربي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005

وعلى الرغم من توفر المصادر والمراجع إلا أن الصعوبة تكمن في الجمع بين الدرس الفلسفي والدرس الأدبي وإسقاط الأليات الفلسفية على النص الواسيني.

ومِن هَذا الأخير لا يَسَعُني إلا أن أتَقَدم بِجزيل الشُكر الدُكتور- بكري هشام – الذِي أمدنا بالتوجيهات اللازمة.

الفصل الأول

الوجودية والإبداع الفني

المبحث الأول: الفلسفة الوجودية في الفكر الغربي.

1.1- الفلسفة الوجودية: نشأتها، والأعلام، وأهم أفكارها

تُعد الفلسفة الوجودية من أبرز التيارات الفلسفية التي ظهرت في أوروبا في القرن العشرين، وقد جاءت كرد فعل نقدي على الفلسفات العقلانية والمثالية،" إنها أسلوب أو طريقة في التفلسف قد تؤدي بمن يستخدمها إلى مجموعة من الآراء التي تختلف فيما بينها أشد ما يكون الإختلاف، حول العالم وحياة الإنسان فيه"1، ومن سمات هذا الأسلوب ومرتكزها الأساسي" هي أن هذا الأسلوب يبدأ من الإنسان لا من الطبيعة، فهو فلسفة عن « الذات» أكثر منه فلسفة عن «الموضوع» لكن قد يقال أن المذهب المثاليidéalisme يتخذ هو الآخر، نقطة بدايته من الذات"[2]، وعلى هذا يجب على الباحث تحديد المهذب الفلسفي تحديدا دقيقا لتقارب القائم بينهما، الذاتية، والحرية، القلق، والعبثية واللامعنى باعتبارها كعناصر أساسية لفهم الوجود البشري.

يؤكد هذا التيار الفكري على أن الإنسان كائن حر بطبيعته، لا تحكمه أية تحديات مسبقة، بل يصغ وجوده من خلال أفعاله وخياراته في عالم لا يقدم ضمانات مطلقة، وعلى الباحث تحديد المهذب الفلسفي تحديدا دقيقا، باعتبار هذه المدرسة تهتم بالفرد وتركز في مبادئها على حريته.

الوجودية النشأة والتطور:

بعد الحرب العالمية الثانية ارتبطت الفلسفة الوجودية المعاصرة بجملة من الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين الذين كانوا يجتمعون في أحد مقاهي باريس ويطرحون تصوراتهم وآرائهم الفلسفية نذكر من بينهم رائدها "جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار، حيث ميز هؤلاء المفكرين غير تقليديين وطليعيين، وهم يناقشون في حرارة تبعات حريتهم السياسية والفنية المكتسبة حديثاً. يسودهم مزاج الحماس والإبداع وتحليل الذات القلِق، والحرية ... دائمًا الحرية"[3]، ويذهب الباحثون على أنها قديمة وجذورها مرتبطة منذ القدم،" على الرغم من ادعاء الوجودية أنها مفهوم جديد غير مسبوق، فإنها تجسد تقليدًا راسخًا في تاريخ الفلسفة في الغرب، يعود على الأقل إلى زمن سقراط ٣٩٩–٤٦٩(ق.م)"[4].

---

[1] جون ماكوري، الوجودية، امام عبد الفتاح امام، عالم المعارف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت،1982، ص17.

[2] المرجع نفسه ص17.

[3] ينظر، توماس أر فلين، الوجودية: مقدمة قصيرة جدا، تر، مروة عبد السلام، هنداوي، القاهرة مصر، ط1، 2014، ص9.

[4] المرجع نفسه، ص15.

"لو كانت الوجودية تحمل آثار ظهورها بعد الحرب، فإنها على الأقل -من حيث كونها أسلوباً للتفلسف والتعامل مع الموضوعات المهمة في حياة الناس- قديمة قِدم الفلسفة نفسها، وهي معاصرة شأن الحالة الإنسانية التي تعكف على دراستها"[1].وارتبطت اكثر بالأعلام الثالث.

يعتبر الفيلسوف الدانماركي من مؤسسي الفلسفة الوجودية في صورتها الحديثة "ترجع البدايات الفعلية للفكر الوجودي إلى سورين كيركغارد (1813–1855) ,Søren Kierkegaard»، الفيلسوف واللاهوتي الدنماركي، الذي أكّد على فردانية الإنسان واعتبر أن "الفرد هو الحقيقة"، وأن الإيمان ليس شأنًا عقليًا، بل تجربة ذاتية، مليئة بالقلق والاختيار واللايقين ارتبطت به الوجودية المسيحية.

ثم جاء "فريدريش نيتشه (1844–1900 ,Friedrich Nietzsche)، الفيلسوف الألماني الذي دعا إلى التحرر من القيم الأخلاقية التقليدية، وأعلن "موت الإله" كمجاز عن نهاية المرجعيات الميتافيزيقية، مؤكدًا على إرادة القوة كقوة خلق جديد للمعنى.

كما لدى كل من (سورين كيركجارد) و(فريدريك نيتشه) رائدَي الوجودية «في القرن التاسع عشر مواقف متضاربة تجاه فلسفة سقراط؛ فمن ناحية، كان ينُظر إلى سقراط كمدافع عن نوع من العقلانية يتخطى القيم التقليدية والشخصية الخالصة إلى معايير أخلاقية عالمية، وهو ما أشاد به كيركجارد بينما انتقد نيتشه هذا الجانب العقلاني في فلسفته، ومع ذلك اتفقا على أن الحياة لا تتبع لا تتبع دائما من طق العقل، وأن المرء عليه غالباً أن يخاطر بتجاوز حدود المعقول كي يعيش الحياة بكل معانيها"[2].

بلغت الوجودية نضجها الفلسفي مع الفيلسوف الالماني مارتن هايدغر (Martin Heidegger, 1889–1976)، لا سيما في كتابه الوجود والزمان (Sein und Zeit 1927)، حيث فرّق بين الكائن (Seiendes) والوجود(Sein) ، واهتم بظاهرة "الوجود في العالم" بوصفها تجربة قلق تواجه الفناء والموت وتكشف عن الحرية القصوى"[3].ارتبطت به الوجودية الالحادية.

أما أشهر من بلوَر الوجودية بوصفها حركة فلسفية وشعبية، فهو جان بول سارتر (Jean-Paul Sartre, 1905–1980)، الذي عرّف الوجودية في كتابه الوجود والعدم (L'Être et le Néant, 1943)بعبارته الشهيرة«الوجود يسبق الماهية»، أي أن الإنسان يوجد أولًا ثم يقرر من يكون، عبر أفعاله واختياراته، لا عبر

[1] توماس أر فلين، الوجودية: مقدمة قصيرة جدا، مرجع نفسه، ص10.

[2] ينظر: توماس أر فلين، الوجودية: مقدمة قصيرة جدا، تر، مروة عبد السلام، هنداوي، القاهرة مصر، ط1، 2014، ص16-17.

[3] محمد عناني، مصطلحات الفلسفة الوجودية عند مارتن هيدغر، مؤسسة هنداوي، 2012، ص14.

جوهر محدد سلفًا."[1] وبهذا المبدأ كرس سارتر أفكاره الوجودية، وكان هذا "بعد انتهاء الحرب بقليل، ألقى سارتر محاضرة عامة بعنوان «هل الوجودية فلسفة إنسانية؟» هزت الحياة الثقافية في باريس وكانت بمنزلة بيان رسمي بإطلاق الحركة الوجودية. منذ ذلك الحين، ارتبطت الوجودية بنوع معين من الفلسفة الإنسانية التيتولي الإنسان والقيم الإنسانية مكانة مرموقة"[2].

أهم المفاهيم الوجودية:

هناك خمسة موضوعات أساسية ينظر الفلاسفة الوجوديون إلى كل منها بأسلوبه الخاص، يمكن تبينها من خلال التشابه (تداخل الموضوعات وتلاقيها بين هؤلاء الفلاسفة.

(1) الوجود يسبق الجوهر: الإنسان يخلق جوهره بنفسه بناء على اختياراته.

(2) الوقت هو الجوهر:وجود الإنسان مرتبط بالزمن، فالوقت المعاش أكثر أهمية من قياسه بالساعات، والألفاظ الزمنية مثل (ليس) وبالفعل والحاضر لها معاني مختلفة في التجربة الإنسانية.

(3) الإنسانية: الوجودية فلسفة تركز على الإنسان. وبحثه عن الهوية والمعنى في الحياة، رغم الضغوط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ينصب تركيزها على بحث الذات الإنسانية عن الهوية والمعنى وسط الضغوط الاجتماعية والاقتصادية،

(4) الحرية والمسئولية: الوجودية فلسفة تدور حول الحرية، وقوامها يتمحور حول حقيقة أننا نستطيع الانفصال عن حياتنا لوهلة وتأمل ما كنا نفعله فيها. الإنسان حر في اختيار مصيره.

(5) الاعتبارات الأخلاقية هي الأهم: مع أن كل فيلسوف وجودي يفهم الأخلاق –مثل الحرية - من منظوره الخاص، فالاهتمام الأساسي ينصب على تحفيزنا على تأمل جودة حياتنا الشخصية ومجتمعنا."[3] أجمع جل الباحثين على أن هذه هي أكثر مواضيع الوجوديون.

[1] ينظر: بن عاشور أسماء، النقد الوجودي عند سارتر، مجلة الآداب، العدد14، ص232.

[2] توماس أر فلين، الوجودية: مقدمة قصيرة جدا، تر، مروة عبد السلام، هنداوي، القاهرة مصر، ط1، 2014، ص9

[3] توماس أر فلين، الوجودية: مقدمة قصيرة جدا ، المرجع نفسه، ص22.

2- تأثيراتها في الفكر والفن العالمي:

تأثير الفلسفة الوجودية في العصر الحديث امتد ليشمل مختلف الميادين الإبداعية، أين تركت بصمتها على الأدب، المسرح، الشعر، والسينما مما أدى إلى إعادة تشكيل مفاهيم وتصورات وخلقت أجواء من التأمل العميق والبحث في معنى الوجود والحرية والمسؤولية.

في الرواية:

يعد الفيلسوف الروائي الروسي الكبير "فيودورديستوفسكي (Fyodor Dostoevsky) سبق الوجوديين في تناول قضايا مثل القلق، الحرية، والجريمة كاختيار. في روايته الأخوة كارامازوف، يظهر الصراع بين الإيمان والعبث"1، وفيه يشير رائد الوجودية سارتر في قول له " ولقد كتب «ديستوفسكي» مرة « إن الله إذا لم يكن موجودًا فكل شّيء مباح». وما كتب «ديستوفسكي» هو النقطة التي تنطلق منها الوجودية، والتي نعتقد أن إنكار وجود الله يعني أن كل شيء يصير فعلا متاحا"[2]، يعني هذا أن غياب الإيمان يمكن أن يؤدي إلى انهيار القيم والأخلاق.

ألبير كامو في روايته الغريب (L'Étranger, 1942)يصور البطل "ميرسو" الذي لا يبدي أي انفعال أمام الموت أو الجريمة، في عالم لا معنى له، مما يجعل الرواية تجسيدًا للعبثية."[3] يبرز كامو من خلا هذا العمل الإبداعي فكرة أن الحياة بلا معنى وأن الفرد يجب أن يخلق معنى خاصًا به في مواجهة العبث.

جان بول سارتر. يصور سارتر البطل (أنطوان روكانتين) في الغثيان (La Nausée, 1938)يصور البطل وقد فقد كل ارتباط بالعالم من حوله، غارقًا في لا جدوى الأشياء والوجود وهو يعاني من حالة اغتراب والانفصال والشعور بالغثيان أين يبحث عن المعنى في حياة بلا معنى، "كما يتضح موقف سارتر الإنساني ونظرته للذات الإنسانية أكثر عندما نتمعن فيما كتبه في بحثه الموسوم بـ (الوجودية مذهب إنساني) الذي تحدث فيه عن حالات وجدانية مثل القلق والغثيان والإخفاق وحاول أن يبن مثل هذه الحالات ليست سوى مغزى فلسفي."[4]

[1] ينظر: عزيز الحدادي، العالم العربي في ضيافة العدمية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، بيروت –لبنان، ص74.

[2] جان بول سارتر، الوجودية مذهب انساني، تر، عبد المنعم الحفني، ط1، 1964، ص25.

[3] ينظر: صفاء طلعت مدكور، نحو فلسفة تربوية معاصرة لتعزيز ثقافة المقاومة- دراسة تحليلة في بعض نماذج الأدب العالمي، "حطاب ألبير كامو، مجلة كلية التربية، المجلد19، العدد115 جامعة طنطا،2022، ص450

[4] .،أسماء بن عاشور، النقد الوجودي عند سارتر، مجلة الآداب، العدد14، جامعة الاخوة منتوري ، قسنطينة، (بد-ت)، ص239- 244.

في المسرح:

أما في هذا الفن نجد صامويل بيكيت (Samuel Beckett) في مسرحيته في انتظار غودو (Waiting for Godot, 1953)، يقدم شخصيات تنتظر عبثًا كائنًا لا يأتي، في فضاء خاوٍ يعكس خيبة الأمل الإنسانية في معنى خارجي أو خلاص، " الأمكنة هي اللا مكان الشخصيات بلا هويات، وبلا ملامح، وإذا كانت هويات ك «بوزو» وحتى «هام» فإن هذه الهويات تتساقط في التباسات الداخلية وفي «اللعبة» المسرحية نفسها."[1] استخدم "بيكيت" لغة وشخصيات في سيناريوهات تعكس حالة الإنسان الوجودية

ويلمس المتلقي كذلك التيار عند" أوجين يونسكو (Eugene Ionesco)في مسرح العبث، يعبّر عن تفتت اللغة والمعنى، وانهيار التواصل الإنساني، كما في الكرسيان والدرس."[2]

المسرح الوجودي يمتلك تاريخا غنيا، حيث عرف العديد من الكتاب والمؤلفين المسرحين فكرة الوجود واللامعنى، ساهمت في تشكيل المسرح الحديث، وتأثيره على الفنون المسرحية.

في الشعر:

عند بول إيلوار (Paul Éluard) تظهر الذات الوجودية في قصائده حين يواجه العالم بوعي فردي لا يخضع لسلطة خارجية، "من أشهر قصائده قصيدة "الحرية" أين تحول الشاعر لرمزا للمقاومة وللإنسانية بسبب مواقفه من الإنسان والحريات ومقاومة النازية خاصة بعد أن احتلت ألمانيا النازية فرنسا، فوق كل الصفحات المقروءة فوق كل الصفحات البيضاء الحجر، الدم، الورق أو الرماد أكتب اسمك إنها قصيدة "الحرية" التى كتبها "بول" 1942، ونشرها فى ديوان "أشعار وحقائق".. حيث كان العالم يقف على شفا الهاوية والحرب اشتعلت وانقسمت الدنيا لمعسكرين كبيرين، كل منهما يريد أن يفتك بالآخر، فى هذه الأوقات تظهر سبل جديدة لمعنى القصيدة."[3]

أما لدى "ت. س. إليوت (T. S. Eliot)، خصوصًا في قصيدته الأرض اليباب (The Waste Land, 1922)، تتجلى أزمة المعنى والتفتت الحضاري، عبر مشاهد الغربة والقلق، ما يجعل القصيدة أرضًا خصبة

[1] صمويل بيكت، في انتظار جودو، تر، بول شاول، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، بغداد-بيروت، 2009، ص9.

[2] ينظر: مجموعة من الكتّاب، المسرح العربي مسيرة تتجدد، وزارة الإعلام، 2012، الكويت، 180.

[3] ينظ:اجمد ابراهيم بول إيلور "ولدت كي اسميك، اسميتها الحرية" اليوم السابع، https://www.youm7.com/story/2014/11/11/

للقراءة الوجودية، "يتحدث إليوت في أرض اليباب عن أوروبا ما بعد الحرب العالمية الثانية، عن الخراب الذي ساد أوروبا، وعن خيبة الأمل التي أصيب بها جيل ما بعد الحرب، متصورا شكل العالم بعد الحرب: عالم يحتله الخوف والذعر والهواجس، عالم كل ما فيه عقيم وبلا جدوى، الأحلام والرغبات والشهوات، عالم صار فيه الخراب وفوضى الروح هي السائدة"[1] تتناول القصيدة موضوع الموت والعبث و والتأثير المفهومين الوجوديين على الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني: الفلسفة الوجودية في الفكر العربي

1- استقبال الفلسفة الوجودية في السياق العربي

دخلت الفلسفة الوجودية إلى العالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، عبر الترجمة والاحتكاك الثقافي مع الفكر الغربي، لا سيما الفرنسي،" بدأت حركة انتقال الأفكار الفلسفية الوجودية إلى العالم العربي عبر عبد الرحمن البدوي، الذي كان يعلّق على أفكار سارتر كذلك قبل أن تُترجَمَ كتب هذا الأخير، وكان يرى فيها إمكانية معقولة ليجدّد الإنسان إمكانياته في الواقع المعاش الذي لا واقع غيره، عبر الحرية الجذرية التي قد تستدعي ثورة. وقد ساهم سهيل إدريس وزوجته عايدة مطر جي بشكلٍ كبيرٍ في هذا الانتقال، ترجمةً وتقديماً، حتى أن أحد كتب سارتر صدرت بترجمتها العربية عن دار الآداب قبل أن تصدر النسخة الفرنسية الأصلية في فرنسا"[2].

وكانت مصر ولبنان من أبرز مراكز هذا الاستقبال. وقد تباينت ردود الأفعال تجاهها؛ فالبعض رأى فيها تيارًا تحرريًا يُعلي من شأن الفرد، بينما انتقدها آخرون باعتبارها فلسفة تشاؤمية تخالف البنية العربية والدين الإسلامي.

ومن أبرز المترجمين والمروجين للوجودية في العالم العربي:

نجد سهيل إدريس :نقل إلى العربية أعمال سارتر وكامو عبر مجلته الآداب في بيروت، وأسهم في تعريف جيل كامل بالأدب الوجودي.

[1] رشا عمران، الأرض اليباب. نبوءة إليوت والعلم الثالث، تلفزيون سوريا، دمشق،2022/03/30، https://www.syriatv

[2] نائلة منصور، تاريخ الوجودية في المشرق العربي، الجمهورية نت،https://aljumhuriya.net/ar/2020/08/20

لايمكن الحديث عن الفلسفة الوجودية دون ذكر الفيلسوف عبد الرحمن بدوي :الفيلسوف المصري الذي يُعدّ أول من قدّم الوجودية كمشروع فلسفي باللغة العربية، من خلال مؤلفه الزمان الوجودي (1945)، وترجماته لمؤلفات مارتن هايدغر وسورين كيركغارد.

لقد ساهم هؤلاء في تكوين جيل عربي مثقف منفتح على الآخر ومتأثر بالوجودية، خصوصًا في ظل التحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة التي شهدها العالم العربي، وعلى رأسها القضية الفلسطينية وعام النكبة، مما عزز حضور القلق و اللا معنى العبثية في الخطاب الأدبي.

2: **تمثيل الوجودية في الرو اية العربية**

لم تأتِ الوجودية في الرواية العربية تقليدًا محضًا للرواية الغربية، بل تمّ إعادة صياغتها ضمن السياقات العربية، حيث تحوّلت أفكار مثل العبث والقلق والحرية إلى تعبير عن أزمات الوعي العربي، والظروف الصعبة التي مر بها الإنسان العربي، من سقوط الدولة العربية تحت الاستعمار أو ما قبله، إلى حرب أكتوبر وهزيمة 1967 أمام الاحتلال الإسرائيلي والمد الصهيوني ومعاهدة كامب ديفد.

عبد الرحمن منيف: (شرق المتوسط)

يمكن إدراج أعمال عدة للروائي عبد الرحمن منيف ضمن الأدب الوجودي، وعلى رأسها روايته المذكورة أعلاه، ففي روايته شرق المتوسط (1975)، يصوّر منيف تجربة السجن والتعذيب بوصفها محنة وجودية، يتفتت فيها الكائن، وتُسحق حريته، ويُختبر مدى تمسكه بموقفه الأخلاقي أمام آلة القمع. الشخصية الرئيسية "رجب" تواجه خيار التراجع أو الثبات، وهو خيار وجودي بامتياز"[1].

يُلاحظ في هذا العمل الابداعي أن الحرية ليست مجرد مفهوم فلسفي، بل معركة داخلية تتعلق بوجود الذات ذاته، وهو ما يشكل لبّ التفكير الوجودي عند جون بول سارتر ومارتن هايدغر.

غسان كنفاني: (رجال في الشمس)

غسان كنفاني أحد أبرز الكتّاب المحدثين في فلسطين المحتلة، باشر بكتابة ما يسمّى (الأدب المقاوم)، قدّم مجموعة من الأعمال الأدبية السردية التي تهتم بقضايا فلسطين والوطن، والإنسان الفلسطيني المقهور والمقموع في أبسط حقوقه بين مطرقة العدوان الصهيوني، وسندان الخذلان العربي. وفي روايته رجال في

[1] هناء عبيد، قراءة في رواية شرق المتوسط للروائي عبد الرحمان منيف، تاريخ النشر،01-01-2015، شيكاغو، أمريكا، دنيا الرأي https://pulpit.alwatanvoice.com

الشمس (1963)، يصوّر كنفاني شخصيات فلسطينية تحاول الفرار من واقع اللجوء إلى مستقبل مبهم في الكويت، لكنها تموت في خزان الشاحنة، دون أن يطرق أحد منهم الجدار. العبث، اللا جدوى، والخذلان تتكرّر بصيغة وجودية تشير إلى عجز الإنسان عن الفعل، وإلى صمت العالم إزاء مأساته"[1].

صنع الله إبراهيم: (اللجنة)

في هذا العمل الروائي "اللجنة" (1981)، يواجه البطل جهازًا بيروقراطيًا غامضًا، يطالبه بتقارير وإثباتات، دون أن يُفهم الهدف، في سرد دائري يعكس عبثية السلطة. الرواية تشتبك مع فكرة العدمية السياسية، وتُحاكي مسرح العبث، وتجربة بيكيت، لكن بلغة روائية متجذرة في الواقع المصري"[2].

واسيني الأعرج: (الليلة السابعة بعد الألف)

في هذه الرواية، يقدّم واسيني الأعرج بطلًا يعيش أزمة هوية بعد الحرب الأهلية الجزائرية، متأرجحًا بين الذاكرة والموت، وبين الانتماء والشتات. الزمن في الرواية مفكك، والذات تحاول عبثًا استعادة توازنها، في جو سردي مشبع بالقلق، وهي خصائص ترتبط بالبنية الوجودية للرواية الحديثة،[3].

المبحث الثالث: الفلسفة الوجودية في الرو اية العربية المعاصرة

1- الوجودية والوعي العربي

تشكّل الفلسفة الوجودية واحدة من أبرز التيارات الفكرية الغربية التي أثّرت بعمق في الوعي العربي، لا سيّما في منتصف القرن العشرين. لقد دخلت هذه الفلسفة إلى الفضاء الثقافي العربي في زمن الاضطرابات: مرحلة ما بعد الاستعمار، والنكبات القومية، والتحوّلات الحداثية الكبرى. لذا، لم يكن الاستقبال مجرّد ترجمة أفكار، بل كان تفاعلاً جدليًا معها في ضوء أسئلة الوجود العربي ذاته: من نحن؟ ما مصيرنا؟ ما جدوى الفعل والاختيار في عالمٍ يبدو بلا أفق؟

[1] ينظر: أحمد هاشم السامرائي، استنطاق المجهول قراءة في تراث الأديب غسان كنفاني، موسوعة دراسات وأبحاث في الأدب الفلسطيني الحديث، الجزء الرابع، 231.

[2] ينظر: إبراهيم بيرسي، رواية" اللجنة" لصنع الله إبراهيم تساءل الرواية أنظمة القمع؟، تاريخ النشر30،05،2025 صحيفة مداميك https://www.medameek.com › ... .

[3] واسيني الأعرج، الليلة السابعة بعد الألف، دار الآداب، بيروت، 2004.

ظهرت في البداية تيارات نقدية تجاه الوجودية، بوصفها فلسفة "الإلحاد والعبث"، إلا أن مفكرين ومبدعين عربًا سرعان ما اكتشفوا أنها توفر أدوات تحليل للذات، والحرية، والمصير، وأنها ليست بالضرورة مضادّة للدين، بل تضع الإنسان أمام مسؤوليته الفردية، بعيدًا عن الحتميات المطلقة.

وقد تصدّت للنقل الفلسفي الوجودي عدة أسماء نذكر منها:

عبد الرحمن بدوي الذي مزج بين الفكر الوجودي والتراث الصوفي الإسلامي، معتبرًا أن التجربة الفردية هي التي تؤسس للمعرفة"[1]

فهمي هويدي وزكي نجيب محمود وغيرهما ممن ناقشوا الوجودية من منطلقٍ ديني وثقافي، رافضين أو مهادنين لبعض أوجهها"[2]

وما نلمسه من كل هذا أن الفكر الوجودي لم يظل حبيس الأكاديميات والرؤى الفلسفية، بل تسرب إلى فنون الأدب المختلفة: الرواية، والمسرح، والشعر، والسينما، بوصفه تيارًا ثقافيًا يعبّر عن انكسارات الذات العربية.

2- تمثّلات الفلسفة الوجودية في الرواية العربية

بين الترجمة والتمثّل: من التأثر إلى الإبداع

أثّرت الوجودية بداية في الشكل الروائي العربي عبر الترجمة والتأثر بالنماذج الغربية :رواية الغريب لألبير كامو، الغثيان لجون بول سارتر، الإخوة كارامازوف لدوستويفسكي، الطاعون، وغيرها. غير أن الروائيين العرب سرعان ما انتقلوا من التقليد إلى التمثّل، فأنتجوا روايات تستند إلى بنى وجودية، تعكس الأزمة الوجودية للفرد العربي في ظل السلطة، القمع، النكبة، الحرب، الاغتراب، والشتات"[3]

نماذج تطبيقية وتحليل سردي

عبد الرحمن منيف – رواية "شرق المتوسط"

[1] عبد الرحمن بدوي، الوجودية في ميزان الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، 1962

[2] ينظر: حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006. ص85

[3] ينظر" حليم بركات، الإتراب في الثقافة العربية، المرجع نفسه، ص143-145

يقدّم عبد الرحمن منيف رواية سجون بامتياز، لكن ما يجعلها وجودية هو البُعد الداخلي لشخصية رجب، الذي يتأرجح بين الانهيار والمقاومة. تظهر الوجودية هنا في:

تحوّلات الوعي :من الإيمان المطلق بالفكرة إلى الشك.

الاختيار الفردي :إذ لا ينقذ أحد رجب من نفسه، ويظلّ حرًا في أن "يعترف" أو "يصمت"، في مفارقة مرّة.

تقدم الناقدة العربيّة في المهجر هناء عبيد قالت هناء عبيد: "أن الروائي عبد الرحمن منيف نجح أن في أخذنا ببراعة لنعيش حال السجين السياسي في سراديب الموت المظلمة، رغم ذلك فإن الرواية لم تتعرض الى أسباب الاعتقال بشكل مفصّل وكل ما ذكرته: هو أن السجناء كانوا ضدّ النظام، وأنهم يسعون إلى مجتمع أكثر حرية وسعادة"1. السجن ليس مكانًا فقط، بل حالة وجودية تُلغِي كل يقين، تقدم الرواية رؤية قوية حول تأثير القمع على الوجود الإنساني، وتسلط الضوء على الأزمة الوجودية التي تعاني منها الشخصيات في ظل الأنظمة القمعية المستبدة.

غسان كنفاني – "رجال في الشمس"

تحوّلت الرواية عنده إلى رمز للخذلان العربي، لكن على المستوى الفلسفي، نجدها تعكس بعدا وجوديا خاصا:

فمن خلال شخصيات الرئيسية في الرواية، أظهر غسان كنفاني كيف يواجه الفلسطينيون تحديات لإثبات الهوية والانتماء في ظل الاحتلال واللجوء، تسعى الشخصيات الرواية إلى إيجاد مكان لهم في عالم أصبح معقدًا وجارحًا، يحمل من البؤس والشقاوة الكثيرجراء تأثير النكبة وانعكاسها على الفرد الفلسطيني، الأمر الذي أثر على مجرى حياته، في ظل شخصيات تحمل عِبئها الشخصي وتجسد ابعاد الواقع الفلسطيني، مما تعكس بعدِ وجودي عميق يصور المعاناة والعجز عن قيام بفعل شيء حيال أوضاعهم، وهو ما يقودهم إلى الموت، رغم الاحلام، ألا أنهم يصطدمون بالواقع المرير."2.

العبث الوجودي :صمت الشخصيات داخل الخزان صدى لصمت الكون.

[1] ينظر: هناء عبيد، قراءة في رواية شرق المتوسط للروائي عبد الرحمان منيف، تاريخ النشر،01-01-2015، شيكاغو، أمريكا، دنيا الرأي ‹ https://pulpit.alwatanvoice.com

[2] ينظر، تحليل رواية " رجال في الشمس" لغسان الكنفاني، تاريخ النشر، 07-04- 2025، نبض العرب https://www.nabdalarab.com

الفعل غير المكتمل :لم يطرق أحد الجدران، وكأن الجميع استسلم لنهاية غير معلنة.

التشظي الداخلي :كل شخصية تمثل بعدًا من الانكسار العربي: الحالم، الهارب، الواقعي الوقعي في ظل وجود ميؤوس منه حيث تتجلى فيه مظاهر اليأس والمأساة والمعاناة مما يجعلها جميعا تنهزم في الاخير.

صنع الله إبراهيم – "اللجنة"

تشكّل الرواية كأحجية وجودية بيروقراطية، "تشبه تجربة البطل في 'اللجنة' ما طرحه ألبير كامو في 'أسطورة سيزيف'، حيث يجد الإنسان نفسه في مواجهة أنظمة عبثية، لا يستطيع فهمها أو التكيف معها. البطل، رغم محاولاته للإجابة على أسئلة اللجنة أو فهم دوافعها، يبقى عالقًا في دائرة مغلقة من القهر وعدم اليقين."[1] يظهر الروائي فيها بوضوح التجربة العبثية التي يخوذها البطل، عندما يُساق إلى مهام غريبة دون تفسير، ويُحاسب دون معايير واضحة

يظل "اللّا معنى" هو المحرّك الأساسي للسرد، حيث يتحول النظام إلى وحش خفي، وتصبح الذات عاجزة عن الفهم. تعكس فيها البنية السردية الفلسفة الوجودية من حيث العبث واللامنطق، واللغة متقشفة ومحايدة، على غرار الأدب الوجودي.

هدى بركات – "حارث المياه" و"أهل الهوى"

تُعيد الروائية تمثيل القلق الوجودي من خلال رواية "حرث المياه"، أين "صوّرت الحرب اللبنانية ومُخلفاتها بدءًا من الدمار وفقدان المعنى وانتهاءً بالفراغ واللوذ بالحُبّ لتفادي نغمة الحياة الرتيبة ما بعد الحرب، لكن صوّرتها بلقطاتٍ استعراضية تنزلق حبكتها ويضيع تركيزها من وقتٍ لآخر."[2] ، تظهر فيها الشخصيات متشظية، الموت والخراب يلوحان في الأفق.

إلياس خوري – "باب الشمس"

رغم طابعها السياسي، تمارس الرواية تحليلًا وجوديًا للمنفى، والهوية، والغياب،" والقرية هي محل إنتاج الوعي به، لأنها تشكل همزة الوصل بينه وبين الإنسان، «أما القرى كانت كالقرى. لكن المدن انهارت بسرعة، واكتشفنا أننا لا نعرف أين نحن؟». إشارة قوية في المعنى إلى الإهمال في كينونة القرية، إحالة القرية

[1] ينظر: إبراهيم بيرسي، رواية" اللجنة" لصنع الله إبراهيم تساءل الرواية أنظمة القمع؟، تاريخ النشر30،05،2025 صحيفة مداميك https://www.medameek.com › ...

[2] ملاك أشرف، هدى بركات.. وعمق التساؤل عن حرث المياه؟ القدس العربي، تاريخ النشر26،02،2024، القدس› https://www.alquds.co.uk

إلى قروتيها للتأكيد على اللا قرية يعني انتفاء أهميتها، فإهمال الوعي بالتراب، بالأرض التي يقترب منها جبين الإنسان لتستقبل عرقه المالح"1، مفاهيم "الزمن"، و"الحقيقة"، و"الذاكرة" تتقاطع مع أفكار هايدغر حول الزمن باعتباره أساس الوجود.

3- الوجودية من الفلسفة إلى الأدب

ليست الوجودية مجرّد أفكار فلسفية تُحشى في المتون السردية، بل تتحول في الرواية إلى نزعة عميقة، تعبّر عن موقف وجودي من العالم. هذه النزعة لا تُقاس فقط بوضوح المرجع الفلسفي (سارتر، هايدغر، كامو)، بل بمدى تمثّل الرواية لأسئلة الإنسان حول: معنى الحياة والموت، الحرية والاختيار، العزلة والقلق، العبث والانتماء، الزمن والهوية.

بهذا المعنى، فإن النزعة الوجودية تتجلّى من خلال تكوين الشخصيات، وبنية الزمن، ونبرة اللغة، وتكوين الحدث. وقد أشار جان بول سارتر نفسه إلى هذا التداخل بين الأدب والفلسفة.

المبحث الرابع: أثر الفلسفة الوجودية في تشكيل الهوية السردية لدى الروائي العربي

1-تقاطعات بين الفلسفة الوجودية والرواية العربية:

الرواية العربية الوجودية ليست محاكاةً لأدب الغرب، بل أعادت ترجمة المفاهيم الفلسفية الوجودية إلى سياقاتها الخاصة، عبر:

أزمات سياسية واجتماعية :الطغيان، القمع، النفي، الاغتراب.

موروث ديني وصوفي :النزعة الفردية لا تُلغي حضور الإيمان، لكنها تعيد تأويله، كما فعل عبد الرحمن بدوي حين قرأ الحلاج وابن عربي من منظور وجودي.

اللغة العربية بوصفها كاشفة للذات :من خلال تعدد مستوياتها بين الفصيحة واليومية، منحت الكتّاب مساحة لتمثيل التمزق الداخلي والقلق والتشظي، من خلال الصبغة الفلسفية التي طبعت على الاعمال الروائية، في العقدين الأخيرين، بدأت بعض الروايات العربية تتجاوز النزعة الوجودية التقليدية نحو مسارات ما بعد حداثية، لكنها لم تتخلّ عن جذورها الوجودية نذكر منها:

[1] عبد الحفيظ بن جلولي، رواية(باب الشمس) فلسطين وإنسانية الكتابة في أدب إلياس الخوري، تاريخ النشر،26-09-2024، القدس العربي https://www.alquds.co.uk

روايات الشتات، كما في أعمال (ربعي المدهون) أو (سحر خليفة)، تساءل الهُوية في ضوء فقدان الوطن واللغة والاسم. روايات الحرب الأهلية والخراب (لبنان، العراق، سوريا) تقدّم شخصيات تبحث عن "ذات مهشمة" بلا مركز ولا هدف.

الرواية الفلسفية المعاصرة (أمين معلوف، واسيني الأعرج، محمد حسن علوان) توظف القلق الوجودي ضمن بنى سردية خاصة.

2- الرواية كأداة تفلسف وجودي

الرواية ليست فقط جنسًا أدبيًا بل وُظفت عند بعض الروائيين العرب كأداة تفلسف وجودي، يعبّرون من خلالها عن قلقهم الفكري، وصراعاتهم مع الزمن والمجتمع والقيم. إن بعض الروائيين العرب لم يقتصروا على تقنيات الكتابة الحديثة، بل انخرطوا في جدل فلسفي حول الوجود والمعنى والعدم، مما أعاد تشكيل هويتهم السردية بشكل عميق.

البطل الوجودي كبنية وهوية.

في السياق العربي، ساهمت الفلسفة الوجودية في إعادة تشكيل صورة "البطل "في الرواية، من النموذج البطولي التقليدي أو الواقعي، إلى نموذج البطل الفرداني، المتشظي، الباحث عن ذاته في عالم عدمي، هذا التيار ساهم بشكل جلي في تغير صورة البطل في الرواية من النموذج التقليدي للبطل الشجاع، إلى نموذج الفرد الباحث عن ذاته بذاته في عالم عبثي لا معنى، هذا التحول السردي يعكس فكرة أن الحياة لا معنى لها مسبقا، ما يجسد فكر الوجود يسبق الماهية جوهر الفلسفة الوجودية.

عبد الرحمن منيف في شرق المتوسط :يقدم بطلًا لا يبحث عن النصر، بل عن معنى الكينونة داخل السجن.

صنع الله إبراهيم في اللجنة :يصوّر شخصية مهزومة من الداخل، تواجه عبث السلطة والمعرفة.

هدى بركات في ملكوت هذه الأرض :ترسم بطلًا يقتات من الخوف، بلا يقين روحي أو اجتماعي.

وما نلحظه أن هذه الشخصيات تعاني من الانفصال، الغربة، الحيرة، والقلق، لكنها لا تستسلم، بل تستمر في مواجهة الفراغ بمعنى ذاتي متخيّل، وهذا ما يطابق مفاهيم سارتر وكامو حول الإنسان الضائع.

القلق السردي:

الوجودية تنزع إلى كشف الحقيقة دون تزييف. لهذا أثّرت على الرواية العربية فنيًّا في النقاط التالية:

نهاية مفتوحة :لا تعِد القارئ بالخلاص.

غياب المعنى الخارجي :لا مرجعية مطلقة، بل فقط وعي الذات.

تفكيك الزمن والذاكرة :الحاضر يتداخل مع الماضي، مع حلم بلا مستقبل واضح.

لغة سردية محايدة أو متوترة :ليست شاعرية بالضرورة، بل تعبيرية.

وهذا ما يتجلى في أعمال إلياس خوري (باب الشمس)، وخليل صويلح (اسمي آدم)، وعلي بدر (بابا سارتر).

الروائي الوجودي ككاتب موقف

أنتجت الفلسفة الوجودية وعيًا بالالتزام، أي أن الكاتب لا ينعزل عن قضايا العالم، بل يعبّر عنها من موقع ذاتي حرّ. وهنا يظهر بوضوح مفهوم "الأدب الملتزم" عند سارتر، الذي أثّر في عدد من الروائيين العرب، وخاصة في مرحلة الستينيات والسبعينيات، حيث:

تحوّل الروائي إلى شاهد على الاغتراب والقمع، ورصد لمواجع الذات المنهكة.

لم تعد الرواية فقط مرآة للمجتمع، بل مرآة للوعي الوجودي داخل المجتمع.

مثال:

رواية الحرافيش لنجيب محفوظ – رغم طابعها الأسطوري – تسائل مصير الإنسان حين يفقد إرادته. وهي بذلك تحاور الوجود والعدم على أرض الحارة الشعبية.

خلاصة:

يمثّل حضور الفلسفة الوجودية في السرد العربي المعاصر أحد أبرز تمظهرات التفاعل الإبداعي مع الأسئلة الكبرى للإنسان. لقد تجاوز الروائي العربي في كثير من الأحيان البنية التقليدية للحكي، ليُصغي إلى نداءات الذات القلقة، والحرية المربكة، والعبث الذي يلف الوجود، فكان أن تشكّلت سرديات منفتحة على الفراغ واللايقين، ولكنها أيضًا تبحث عن معنى – ولو هشّ – داخل هذا التيه.

أظهر البحث أن الوجودية، رغم انتمائها إلى فضاء غربي فلسفي، قد وجدت تربة خصبة في التجربة العربية، بحكم تشابه الانكسارات، وقسوة التاريخ، ومركزية سؤال المصير. وهكذا لم تكن الرواية الوجودية مجرد محاكاة فكرية، بل تجربة تأملية ووجودية نابعة من الداخل، عبر شخصيات مأزومة، وأزمنة متشظية، وبُنى سردية تكسر النسق، وتستدعي القارئ إلى شراكة فكرية.

ولعلنا نجد أن الوجودية اعادت تشكيل هوية "الروائي العربي" بوصفه كاتبًا يفكر، لا يصف فقط، يجرّب ولا يكرّر، يتشكك ولا يطمئن، يكتب من قلقه لا من يقينه. ومن هنا، فإن الرواية العربية التي احتضنت هذه النزعة لا تزال في طور التحوّل، ليس فقط لتكون صوتًا للواقع، بل لتكون تمثّلًا فلسفيًّا للحياة، وأسئلتها الأكثر جذرية.

بهذا المعنى، يمكن القول إن الرواية العربية الحديثة، حين تصادف الوجودية، لا تتبنّاها بقدر ما تعيد إنتاجها من داخل ثقافتها وأسئلتها، بما يجعل الهوية السردية العربية اليوم، هوية قيد التشكّل، تحمل في قلبها بذور الفلسفة، والتجريب، والمقاومة.

الفصل الثاني:الأثر الوجودي في رواية سيدة المقام

المبحث الأول:سردية العنف وحتمية الموت

1-سردية العنف :

تعد ظاهرة العنف من أقدم المظاهر الإنسانية المعقدة المتعددة المفاهيم، مما يصعب إيجاد مفهوم دقيق وموحد لهذه الظاهرة، نظرا لتعدد مظاهرها وتداخل مفاهيمها، فهو ظاهرة إنسانية سلبية تهدد الأفراد والمجتمعات، ناتجة عن تفاقم الأوضاع الإجتماعية والإعتداءات على الغير، "لذا هو مفهوم تتحكم فيه عوامل شتى تهيئ وجوده، كما تتحدد طبائعه المتعددة الإجتماعية والفلسفية والنفسية والاقتصادية والسياسية. هذا الأخير يعتبر أكثر مظاهر العنف انتشارا وتداولا في العالم قاطبة وعالمنا العربي على وجه الخصوص، الذي يهدف إلى تحقيق غايات سياسية وفق أساليب عنيف"[1]

وتذهب الباحثة عبيدي فاطمة في تعريف لها،" يعرف العنف على انه مجموع من السلوكيات تهدف إلى إلحاق الأذى بالنفس وبالأخر، ويأتي على شكلين إما بدني مثل الضرب والتشاجر والتذمير وإتلاف الاشياء، أو لفظي مثل التهديد والفتنة والنكتة اللاذعة وهو في الأخير يؤديا لها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى إلحاق الأذى"[2]، إذا هو سلوك عدواني يتسم بالقسوة والعنف يتجلى في استخدام المفرط للقوة والتدمير لإخضاع الاخرين.

لا تكاد الأعمال الروائية الجزائرية تفارق عنفا سرديا و موضوعيا حتى تعانق مشهدا آخر لا يقل عنفا من سابقه، فمن عنف الإحتلال والرد المقاوم له، وصولا إلى عنف الحركات الأصولية، التي شهدت الرواية الجزائرية في نهاية الثمانينات من خلال سلسلة من الصدمات والتحولات الدراماتيكية التي غيرت أسلوب الخطاب الأدبي والسردي على وجه التحديد، بدءا من أحداث 05 أكتوبر 1988م، الأحداث التي كان لها وقع كبير وصدى في انعكاس على الجوانب الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التي كانت عصفت بالبلاد، ما أدى إلى تحولات جوهرية في المشهد السياسي والثقافي والأدبي، دفعت الظروف الاستثنائية المثقفين والأدباء الجزائريين إلى التعبير عن تجاربهم بطرق إبداعية متعددة بما أغنى المشهد الثقافي، ولا سيما الكتاب روائيون، وهو ما تجسد في أعمال الروائيون التي نقلت المشهد الواقعي إلى الأدب، فكانت سردية العنف من السمات البارزة في الأعمال الإبداعية، حيث اتسمت الرواية الجزائرية بعلاقة وطيدة مع العنف، تتحول من مرحلة إلى

[1] ينظر: مونيس بخضرة واخرون، مقاربات فلسفية لنصوص روائية جزائرية، عنف الخطابات العشرية السوداء في الجزائر، مقاربة فيمينولوجية للاعمل الروائية "ياسمينة خضرة"، مونسي بحضرة، النشر الجديد، جامعة تلمسان ، الجزائر، 2016، ص28.

[2] عبيدي فاطمة، ماهية العنف، مفهومه انواعه مظاهره أهم النظريات المفسرة له، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، المجلد24،العدد1، جوان2023، ص31.

مرحلة من عنف المقاومة إلى عنف الثورة، ثم إلى عنف الأنظمة القمعية وصولا الى عنف الحركات الأصولية، أو كما يسميها «واسيني الأعرج في رواية سيدة المقام (حراس النوايا).

وفي سياق التحولات السياسية والإجتماعية، التي أفرزت هذا المعطى الموضوعي، وانعكاساته على حقل الأدب على وجه التحديد التي شهدتها البلاد، يظهر العنف كتجربة إبداعية وجودية قاسية تعكس فيها الأعمال الأدبية والإبداعية مسألة الوجود للحياة والموت، ليصبح العنف في الرواية تعبيرا عن الأزمة الوجودية يعيشها المجتمع الجزائري، الذي يبحث فيه الفرد عن المعنى في بلد تبدو فيه لغة العنف هي السائدة، ما يجعله تحديا وجوديا للذات والمجتمع الجزائري، لتجبر الفرد على مواجهة الظلم واللامعني ويصبح البحث عن المعنى، في عالم يسيطر عليه العنف فهو تحدي وجودي كبير، وفي هذا الوضع المتأزم تشكل رواية سيدة المقام " لواسيني الأعرج"، فضاء خاص للتعبير عن الواقع والعنف في سردية الأزمة الوجودية التي مثلها في شخصية "مريم".

يقدم لنا الروائي واسيني الأعرج في رواية، (سيدة المقام) صورة مؤلمة للواقع السياسي والإجتماعي في الجزائر، عقب أحداث أكتوبر 1988 حيث يخوض في أعماق الواقع الفوضوي فهو روائي ذو نزعة وجودية وإنسانية تتجلى فى أعماله الإبداعية رؤيته الفلسفية المتجذرة في عمق الفلسفة الوجودية المتمثلة في طرح تصورات وجودية، لاسيما في ماهية الوجود والحرية والعنف والمسؤولية والصدق، وهذا هو جوهر الوجوديون من الإنسانية.

وما يعكس رؤيته الوجودية، هي روايته للواقع وأحداث العنف التي غذتها أفكار وإيديولوجيات تجلت في رؤيته المعاصرة إلى المد الإسلاماوي المتطرف كقوة هادفة لبناء مجتمع يدعي الإسلام لكنه بعيد عنه تماما، وهم من وسمهم واسيني بـ(**«حراس النو ايا» كما وسم السلطة ب «بني كلبون»**.

يتجلى العنف في الرواية بقوة، ففي محور مكاشفات المكان الذي يستهل الكاتب روايته بالعنف وتمثل في قوله: "شيء ما تكسر في هذه المدينة بعد أن سقط من علوٍّ شاهق"[1] يفهم من هذه البداية السردية دعوة الكاتب للتأمل في طبيعة الاحداث المأساوية وضرورة مواجهة الفوضى، لتتوالى الأحداث السردية في طابعها الفلسفي الوجودي من خلال قوله:

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر،2007، ص5.

" والحارات الشعبية التي بدأت تتآكل على أطراف المدينة التي غيرت طقوسها منذ أن بدأ "حراس النوايا" يزيحون سلطة "بني كلبون" ويستعيدون أمجاد الورق الأصفر، الحرف المقدس والسيوف المعقوفة "[1]، ففي هذا السياق يظهر العنف كقوة مؤثرة في تغيير المجمع وتدميره، حيث يتم فرض إيديولوجيات ومعتقدات بالقوة، ما يؤدي إلى تدهور الاوضاع و الانفلات الأمني والعبث بمقومات المجتمع، تحت هذه النظرة الوجودية يعمد الراوي إلى التركيز على الجانب الثقافي وفرض معتقدات الدِعاية التي تنتهج مبدأ القوة والعنف. وهذا ما بحت فيه الوجوديون "سارتر" و"امبير كامو"، يهدف الكاتب إلى وصف المتطرفين "بحراس النوايا" فهذا شكل من أشكال العنف والتسلط فالإنسان حر في معتقده ولا مكان للعنف.

وغالبا ما يعبر الفيلسوف الوجودي تعبيرا دراميا، فالكاتب بوصفه للمتطرفين بحراس النوايا، إنما يعتمد رمزية قوية تلبس هذه الشخوص المقصودة طابعها الإجرامي الواصف والدقيق، "كان كيرك جارد يستخدم الأسماء المستعارة والحكايات الرمزية، وصورا آخرى من التواصل غير مباشر ليحفزن ارتباطنا الشخصي بالموضوع المطروح، وكان نيتشة أحد كتاب النثر العظماء في اللغة الألمانية وحكايته الرمزية عن النبي التقي في «هكذا تحدث زرادشت»، مثل رواية سارتر«الغثيان»هي نموذج لدرامة الفلسفية"[2]، فالأسماء الرمزية والأوصاف التي يوظفها الكاتب ذات طابع وجودي، فهو مفهوم وجودي بصورة واضحة يعبر به واسيني عن قوى وأيديولوجيات متطرفة تحد من حرية الفرد وتفرض عليه معتقدًا يجبره على الانصياع له وأي ردة فعل تولد العنف، وهذا ما طرحه الوجوديون حسب رؤاهم في مسألة القيد وحرية الفرد.

يبدو العنف في الرواية متجليا في العديد المواضع ففي مكاشفات المكان يقول واسيني "شيء ما تكسر في هذه المدينة بعد أن تسقط من علو شاهق"[3] في هذه العبارة تتجلى الفلسفة الوجودية و يمكن رصدها في عدة عناصر ولا سيما ظاهرة العنف الممثلة في الشعور بالسقوط

والضياع، أي ضياع الانسان وسط دوامة العنف في قوله:(شيء ما تكسر ..)[4] فهذا اللفظ من أكثر الألفاظ استعمالا عن الوجوديين، حيث يعبر عن هذا جون بول سارتر في قوله: " و السقوط فرار من القلق

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق، ص6.
[2] توماس آر فلين، الوجودية: مقدمة قصية جدا، تر، مروة عبد السلام، هنداوي، الطبعة الأولى، 2014، ص27.
[3] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع نفسه، ص5.
[4] المرجع نفسه، ص5.

لأن القلق يهدد وجودنا بأسره ويعزلنا امام أنفسنا (...) ويحتم عليه الوحدة ويحس بالغربة إحساسا عميقا وينتابه الشعور بعدم الإستقرار "[1]

فالراوي يوظف مصطلحات كثيرا ما عبر بها الوجوديون، وهذا من جوهر الفلسفة الوجودية التي نشأة من رحم الحرب العالمية التي نتج عنها العنف والدمار والسقوط في أوسع نطاقه المعنوي والمادي، ويضيف في هذا سارتر " إن السقوط يتضمن إختيارنا لذاتنا بذاتنا، والسقوط يصاحبه والقلق"2 ، يلتقي واسيني الأعرج مع الوجودين في الإحساس بالمعاناة الإنسان وما يكابده من عنف، فهو يرفض العنف بكل أشكاله المعنوي والجسدي رفضا مطلقا، ولا يرى في العنف غير الموت الذي هو نهاية الوجود.

يقدم لنا الكاتب في نصه صورة معبرة عن حادث مأساوي يثير من خلاله عدة تساؤلات يمثله في قوله:" كيف تجرأت المدنية على قتل مريم في هذا الملحمة البئيس؟؟؟ ستقولون رصاصة

الجمعة 7 أكتوبر من خريف 1988، رصاصة بلا معنى كغيرها من الرصاصات الكثيرة التي إخترقت صمت المدينة في تلك الأيام"[3]، يطرح واسيني في هذا القول عدة تساؤلات ، فمن المنظور الفلسفي يمكن اسقاطها على معنى الوجود في البحث عن الحياة والأمن فيبرز الكاتب صورة من الصورة المتشظية في الواقع مثلها العنف والعبث في المدينة، حيث يتم التركيز على حادثة مقتل "مريم" الشخصية المحورية في الرواية، ومدى تأثير الحادثة على المشهد العام في المدينة، فالكاتب في تكرار ذكر " رصاصة " يبرز مدى العنف الذي اخترق صمت المدينة وهذا في إشارة من الكاتب أن العنف أصبح جزءا من الحياة اليومية التى باتت تخيم على المشهد العام للبلاد.

كما تتجلى الفلسفة الوجودية في توظيف الالفاظ الدالة على ألموت " والموت مثار الرعب، ومأساة في حياة الإنسان، لأنه الحدث الجلل الذي يفضي به إلى اللاوجود ظاهريا"[4]، فالنص يعكس فكرة الموت والعبث التي هي جوهر الفلسفة الوجودية، وهذا ما يلمسه القارئ في النص من خلال توظيف الأماكن والشخصيات المرتبطة بالموت في صورة المستشفى والطبيب والألبسة البيضاء والوجوه المرتعشة ورائحة الأدوية وغيرها "الوجوه التي تدخل وتخرج تاركة وراءها ظلالاً من الخوف، تتأمل الملفّات المعلقة في الأسرة البيّضاء"[5] و تظهر

[1] جون بول سارتر، الوجودية مذهب انساني، تر، عبد المنعم الحنفي، الطبعة الأولى، 1964، ص35.

[2] جون بول سارتر، الوجودية، المرجع نفسه، ص35.

[3] واسيني الاعرج، سيدة المقام، ص9.

[4] احمد فلاق عروات، فكرة الموت في التراث العربي، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2005، ص220.

[5] واسيني الاعرج، سيدة المقام، ص6-7.

من خلال اللامعنى من وراء الرصاصة التي قتلت "مريم" وأعدمت الحياة في المدينة، كما أنها اعتادت على العنف واللامبالاة وأصحبت تغرق في الفوضى والرعب الذي خيم على الحياة في مدينة بلا حياة.

ولم تقتصر سردية العنف على عكس الواقع و تصوره مشاهد القتل، بل في استخدامه لمفاهيم ذات بعد وجودي مبتكرة منه موازية لتلك الالفاظ والمفاهيم الخاصة بالوجوديين ذاتهم مثل (سلطة بني كلبون وحراس النوايا) والعديد من الألفاظ العامية، فتوظيفها لم يأتي إعتباطيا من الكاتب بل من منظور وجودي، فالكاتب يصف النظام والسلطة، بمفهوم و ألفاظ موازية للتي طرحها سارتر في مفهوم النظام لما أطلق عليه لفظة (الدناءة) ويقول إن الدناءة موجودة في النظام " فإنه يعني أنه هيكل استغلالي يتطلب ويحيا على الممارسات القمعية بعبارة أخرى العنف وهو ما يطلق عليه الدناءة فهذا إفتراض وجودي[1] ".

وفي سياف العنف والعبث يوصل الكاتب سرد مشاهد العنف بأسلوب فلسفي الكاتب يطرح فيه الكثير من التساؤلات: "هل سأموت أنا الاولى أم أنت؟[2]"

يصور الكاتب مشهدا من مشاهد العنف الذي صار تيمة في النص، مبرزا في هذا التصوير لظاهرة المأساوية للوجود في مواجهة الموت، يظهر تصوير العنف بالسؤال أولا عمن سيموت أولا وهذا سؤال استفزازي محير فعلا، وصرخة من صرخات الذات لما يلاحق الإنسان، ثم يتنقل إلى نقل المشهد الدرامي للعنف والحديث عن رجل مصاب برصاصة وجراح خطيرة ما يعكس العنف الذي تعرض له، وهذا المشهد يعكس الوضع المأساوي الذي شهدته البلاد.

وتظل تيمة العنف بارزه في العمل الإبداعي: "قالت خالتي وهي تمسح وجهها الذي اصفر بحثا عن قطرة دم انهم يهربون أبنائهم خارج البلاد يبدو أن المسألة كبيرة، الأموات والدم.. مسكين مهنة سانت مهنة مكشوفة"[3]، هذا الذي يعبث عن القلق والخوف بسبب الوضع الأمني والسياسي المتدهور في البلاد، يظهر الكاتب المشهد الاليم وكيف يهربون أبناءهم إلى الخارج خوفا على مصير ذويهم من العنف والموت، هذا ما دعا الكاتب لوصفهم ببني كلبون.

" كانت الجموع ترجف نحو الكوميسارية، في لحظة ما بدا لي كأنهم يحملونها من جذورها على ظهورهم ويرمونها في الفراغ، كانوا يصرخون بشكل بشبه الهدير، الّذي ما يزال يملأ أذنيّ، أُطلقت النَّارُ عليهم ولكنهم لم

[1] توماس آر فلين، الوجودية: مقدمة قصية جدا، تر، مروة عبد السلام، هنداوي، الطبعة الأولى، 2014، ص94.
[2] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق، ص8.
[3] المرجع نفسه، ص149.

يتوقفوا. قيضوا على مسؤول الشرطة، وضعوه داخل إطارات السيّارات. ثمّ أشعلوا النّار فيها بعد أن كّبوا عليها البنزين."[1]

يصور واسيني في هذا المقطع مشهدا عنيفا ومأساويا لاحتجاج وإطلاق النار، وقتلى في مشهد ينتهي بالنار والدمار، فالكاتب يسرد أحداث مؤثرة، يقول أحد الباحثين نقلا عن رائد الوجودية سارتر في مثل هذه الظاهرة -العنف- "أعترف أن العنف بأي شكل يتجسد فيه فهو فشل لكنه فشل لا يمكنا تجنبه لأننا نعيش في عالم العنف وإن صح أن اللجوء إلى العنف في مواجهة العنف سيساهم في توليد المزيد منه، فيصبح السبيل الوحيد إلي ايقافه إلى العنف"[2] ، فالعنف لا يولد إلا العنف .

فالكاتب ينحى منحى وجودي في توثيق اللامبالاة والعنف والعبث وهذا مرتكز أساسي في الفلسفة الوجودية.

يتجلى أثر الفلسفة الوجودية في رواية "لسيدة المقام" لواسني الأعرج في تصويره لمشاهد وصور العنف في سرد روائي درامي يعكس الصراع الوجودي الذي شهدته البلاد بعد أحداث أكتوبر 1988، العنف يظهر كسما بارزة للعبث والصراع الأيديولوجي الذي نتج عنه حرب لا معنى لها التي راحت ضحيتها "مريم" أحد شخوص الرئيسة في الرواية.

يظهر أثر الفلسفة الوجودية متجليا في العنف المتعدد الأشكال والصور، فالفلسفة الوجودية مذهب إنساني على حّد قول سارتر رائدها "عندما قال سارتر الوجودية مذهب إنساني، كان يعني أنها تضع الانسان في مركز اهتمامها وعلى قمة هرم قيمها"[3]، هذا يعني انها تسعى إلى تحرير الإنسان من كل اشكال الاضطهاد وتعلي من شأن الحرية جوهر الحياة، فالعنف ينافي الحرية التي دعت لها الوجودية التي خرجت من رحم الدمار .

2-حتمية الموت:

يعد الخيال من أهم العناصر في الأعمال الأدبية وتيمة بارزة في العمل الفني والأسلوب يستحضره الكاتب ليعبر عما في نفسه، فهو تصوير ذهني يعبر به الكاتب عن عواطفه ومشاعره في العملية الإبداعية، "فالمتخيل هوما يعطي للرواية خصوصية تعرف به وتتعالى عنها أحيانا ليكون وسيلة للإثارة أشياء غير

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام، ، ص 149-150.

[2] إبراهيم حيدري، سسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان،2015، ص87.

[3] توماس آر فلين، الوجودية: مقدمة قصية جدا، تر، مروة عبد السلام، هنداوي، الطبعة الأولى، 2014، ص55.

موجودة بواسطة اللغة أو المحاكاة أشياء الموجودة أو بإشارة نوع من الإيهامات والتمثيلات التي تتوجه الى الأشياء وتربطها باللحظة التي تتمثل فيها الذات فتصبح عملا مقصودا يجسد الوعي أو اعتقاد بالإيهام"

فتوظيف المتخيل يعطي العمل الفني صبغة وجودية، وهذا ما يشغل الوجوديون أنفسهم ولاسيما عندما يرتبط المتخيل بالموت الذي يعتبر تيمة الفناء والعدم الذي طالما أشارت إليه الفلسفة الوجودية باعتباره مالا يفرض سلطته على الذات، داخل عالم يسوده العبث والنزق "ألقى سارتر محاضرة عامة لعنوان هل الوجودية فلسفة إنسانية"[1]

حققت الرواية من خلال عنصر المتخيل للموت الذي وظفه الكاتب من خلال سرد خيالي للأحداث خريف أكتوبر1988 الخريف الذي سقطت فيه مريم شخصية الرئيسة في الرواية نجد الراوي صاحب السلطة يصرح بالموت وفي بعض الحالات يعد تضمين "الأشجار انحنت ويبست هذه الساحة الواسعة بلا أي معنى مثلها مثل المدينة التي لم تعد مدينة"[2]

تتجلى أثر الوجودية فيما توحي اليه دلالة الخريف في لفضتي (انحنت ويبست) الذي يدل على التحول من الحياة الى الموت وإسقاط معالم الخريف على المدينة التي لم تعد مدينة وهذا ما ذهب اليه سارتر "فأول ما تسعى إليه الوجودية هي أن نضع الانسان يواجه حقيقته و أن تحمله المسؤولية الكاملة لوجوده"[3]

ففي مشهد الخيالي آخر يصور لنا الراوي حالت المدينة قبل أن تذبل زهرتها وتموت أشجارها حيث كانت مريم ربيع مدينة "كانت مريم وردة هذه المدينة "[4]

ففي هذا التصوير الجمالي الفني يستحضر الراوي ماضي المدينة الجميل ليصطدم بخريفها المشؤوم الذي خيم على المشهد العام الذي تموت فيه مريم و في أسلوب مزج فيه الكاتب الخيالي بأدبي ليكسب النص أدبيته إذ يصور فيها المأساة لوقوفه على واقع الأحداث الدموية التي هي معطى حقيقي كون النص مادته اللغوية الدالة مستوحاة من الواقع فالمتخيل الموت واقعي.

"قالت الكلمة الأخيرة وهي تحاول أن تضغط على شفتيها وتخبئ ابتسامتها المنهكة "[5]

فالكاتب يستفز القارئ ليعيش معه المأساة، مريم وهي تحتضر في لحظات تجتمع فيها

[1] توماس آر فلين، الوجودية: مقدمة قصية جدا، مرجع نفسه، ص55

[2] واسيني الاعرج، سيدة المقام، ص5.

[3] جون بول سارتر، الوجودية مذهب انساني، تر، عبد المنعم الحنفي، الطبعة الأولى، 1964، ص38

[4] واسيني الاعرج، سيدة المقام، ص5

[5] المرجع نفسه، ص7.

المتناقضات ابتسامة في زمن الموت في وقت ذاته نفسية الكاتب منكسرة ظاهرة في الحوار من خلال أنين الصاخب ليطرح في داخله تساؤلا يستحضر فيه الأغاني العظيمة "آه يا مريم ...أين الأغاني العظيمة؟ ليجب في داخله كنست نفسها وانسحبت باتجاه برادات الموت في بياض المستشفيات" [1]

وهذا ما عبرت عنه الوجودية سيمون دي بوفوار في قولها "وعندي هذا الزمان يمتزج بالموت وأننا نقترب منه لا محالة ومن هنا كان الاحساس بالرعب من هذه الهزيمة، أو على الاصح من هذا الخاطر الملح من أن شيء سوف ينكسر وأن الحب سوف ينفصم "[2]

وفي مشهد دراماتيكي يواصل الحوار الخيالي "هل سأموت أنا الاولى أم أنت ؟"[3]

ويشير أحمد فلاق إلى فكرة القدر، عند مالرو :"هو كل ما يدفع الانسان إلى إدراك ماسات وجود وإلى الاحساس بأن مصيره الفناء والعدم إلا أن الانسان حينما يدرك هذه الحقيقة يجد نفسه مدفوعا الى رفض هذا المصير "[4]

الظاهر من خلال سؤال مريم أنها تؤمن بالقدر وأن الموت حق إلا أن واقع الحياة تدعو إلى التساؤل والحيرة ومن خلال الجو العام والسياق الاحداث المأساوية يمكن القول أن متخيل الموت الذي دار في هذا الحوار أن الموت قدرا لا محال، فالحياة هشة و الاحساس بعبثيتها لا جدوا منه طالما هو أن لاشك فيه.

وتتضاعف قيمة المشهد المأساوي أو الدرامي إن صح التعبير في محاولة ذاتية لتخفيف عن مريم الالم من خلال الحديث عن الهجوم على ثكنة باش جراح على جندي كان سقيط بعد تعرضه لوابل من الرصاص ولم يمت وهو يهتف بأعلى صوت أولاد الحرام، فهنا الراوي يوظف اللفظ العامي الذي هو طاغي على لسان العامة في مثل هذه الاحداث و في هذا المشهد تتجلى الوجودية في أسما صورها كونها مذهب الانساني يجعل من حياة هدف لها ،فالكاتب هنا يريد أن يبعث أمل في الحياة ويطمئنها " قال لك الاطباء لا خيار لديك سوى أن تتعايشي معها وتعايشت مخترقة كل طقوس الحذر"5

تعتبر الرؤيا الطبية بأن هذا المصير المحتوم مر بمراحل سبق فيها تأزم الوضع الصحي لمريم وعليها أن تتعايش مع طبيعة الإصابة وهذا مكان يوحي بصبرها حيث اخترقت كل طقوس الحذر فكان لابد منها أن تؤمن بإرادة الله وقدرة لا سبيل غير ذلك.

---

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام ، ص7-8.

[2] احمد فلاق عروات، فكرة الموت في التراث العربي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص43.

[3] واسيني الاعرج، سيدة المقام، ص8.

[4] احمد فلاق عروات، فكرة الموت في الفكر العربي، المرجع السابق، ص31

[5] واسيني الاعرج، سيدة المقام،، ص9.

وهذا ما يؤمن به الوجوديون جميعا أن الوجود سابق للماهية فالموت أمر محتوم ويأتي بالعلامات الإستباقية من خلال تأزم الوضع الصحي المتزايد، لتواصل مريم تلك الأسئلة الوجودية التي كانت سمتها التساؤلات عن الموت أيهما يموت أولا؟ في الوقت الذي هو يحاول تفادي الإجابة عن هذه الأسئلة وهروب من حقيقة التي هي جوهر الوجودية وذلك في قوله (عدت الى سؤال الأول).

وهذا ما ستعصى عليه الجواب وهو هاجز مريم الذي تريد تسمعه منه رغم أنها تعلم بأنها تحتضر ولم يكن هذا ضروري وليس مهما إلا أنه يريد أن يبعث فيها بصيص من الأمل في الحياة واتساعها وهذه هيا ذروة اللذة التي تنادي بها الفلسفة الوجودية.

وعلى هذا الأساس تصر شخصيات الرواية على البقاء زمن الغدر، والقتل والتنكيل بلا سبب، وبناء على هذه المفاتيح، يغدو الإصرار على البقاء، وإثبات الوجود بؤرة حكاية وأساسها الذي ينهض بأحداثها ويقيم دعائمها، فالحكاية من بدايتها إلى نهايتها ترتكز على تيمة الموت، أو بالأحرى مواجهة الموت من أجل ألا تسقط الشخوص في مراحلها الأولى، هذا من جهة ومن جهة ثانية تتغذى الأحداث إلى معاني الصراع بين الموت والحياة، فعلى الرغم من تقديم موت مريم في بداية الرواية (في يوم الجمعة الحزين) إلا أنها كانت حية في ذاكرة الراوي وحية حتى في وقائع الحكاية وكأنها لم تمت فعلا.

لقد كان موت "مريم" في البداية ما هو إلا تكنيك سردي وحيلة فنية من الكاتب، من أجل أن تحيا للأبد في ذاكرة الحكاية وذاكرة المتلقي، ومن ثمة في الذاكرة جمعاء، وعليه لم تمت مريم، وحتى وإن ماتت جسديا فإن روح مريم الحي تشبه روح مريم العذراء، ظلت حية كواجهة كل الصعاب، من خلال تقنية الاسترجاع التي اعتمدها الراوي، في دلالة واضحة على الوجود والإصرار عليه للبقاء كما يتجلى في قول الحاكي " أتركك للحكاية التي تعشَّقين سماعها. ما يزال في قلبك شيء رهيف يستعصي على الموت. أريد أن أنام، و بإمكانك أن تقصّي على مسمع صديقتك أناطوليا كلّ ما حدث"[1].

أما الراوي الذي كان يجسد دور البطولة في الحكاية ما فتىء يواجه الموت بالحياة عبر صراعات الاحداث وما يشوبها من ظلم وعنف حتى يدخل في مواجهة أخرى أشد نكالا من سابقتها، فلا جرم أن يغدو الموت ومواجهته في الحكاية المحور الذي قامت عليه وهي تنحو نحو مبادئ الفلسفة الوجودية، بل الرواية وجودية بامتياز تدفع شخوصها نحو إثبات الوجود على الرغم مما يحيط بها، يقول سارتر:" الفلسفة الوجودية التي أقدمها لكم تقول أن لا واقع خارج العمل، وهي تذهب إلى أبعد من ذلك فتقول إن الإنسان ليس إلا مشروع الوجود الذي يتصوره، ووجوده هو مجموع ما حققه هو نفسه ليس إلا مجموع أفعاله ،

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق، ص8

ومجموع أفعاله هي حياته، فهو مجموع أفعاله وهو حياته. لهذا ترون أننا نخيف بعض الناس، وهؤلاء هم الذين لا يستطيعون تحمل فشلهم"[1].

المبحث الثاني: السرد وما وراء الحدث من منطلق العبث واللامنطق

1-منطلق العبث واللامنطق

تبدأ الرواية من مكاشفات المكان والتي لم تكن في حقيقة الأمر بملابسات تبتعد عن المكاشفة فعلى الرغم من أن الكاتب استهل حكايته بعنوان (مكاشفات المكان) إلا أنه إستخدم يشيء من الغموض والسوداوية في طرح الحدث العرض.

العبث بمفهومه الفلسفي الوجودي الذي كان يجعل الشخصيات تسير في اتجاهات متباينة ومتداخلة ومتضاربة وكأنها تعيش في عالم وجودي يشبه العوالم الميتافيزيقية التي تتحدث عنها الفلسفة الوجودية، وهي تشرح الواقع الذي لا ينتمي إلى الواقع.

فلا جرم أن تعيش هذه الشخصيات على شفا حفرة من السقوط والاندثار والانحدار نحو متاهات الفناء مثل ما سقطت مريم سيدة المقام في يوم الجمعة الحزين في واقع مليء بالتناقضات التي جعلت من الحكاية مرعبة وحتى مربكة ومعقدة والأحداث مشوشة والأزمنة متداخلة والأفضية مدهشة إلى الدرجة التي لا تتنسب مع الواقع، وهي حينذاك أقرب إلى التخييل منه إلى الحقيقة، فكيف لا تسقط مريم الوديعة وتعلن الحكاية عن موتها وفنائها من البداية، وهي تعيش وسط عالم فوضوي وجو سوداوي يحيط به الموت من كل حدب وصوب.

فلا غرو أن تأتي الحكاية إذن على هذه الشاكلة وعناصر العبث والنزق والظلم تفرض سلطانها على كل الأحداث من البداية الى غاية النهاية وكأن هده الحكاية عبارة عن تشظيات فلسفية وجودية قبل أن تكون حكاية وكيف لا تكون كذلك وهذا النص الواسيني يلعب على وتر النفس المتشظية التي تبحث عن ذاتها وتستقصي عن وجودها وتحقق في كينونتها. الكينونة الموغلة في تشعبات الحياة ودهاليزها وإشكالاتها التي لا تكاد تنتهي.

وبناء على هذه المفاتيح الإيديولوجية التي تقترب من جنس الفلسفة الوجودية تسير مريم و هي تحاول أن تقف بشموخ ضد معترضات المكان و جور الزمان لعلها تضفر بحرية أو إنعتاقا، مثلما يبحث واسيني دائما

[1] جون بول سارتر، الوجودية مذهب انساني، تر، عبد المنعم الحنفي، الطبعة الأولى، 1964، ص38-39.

عن حريته وإنعتاقه في الحياة بالكتابة و ممارسة الإبداع من أجل إثبات الذات و فرض منطق العدل و المساواة التي لطالما دافع عنها في حكاياته ونتاجاته، ولذلك لا تعدو مريم إلا واسيني يتخفى في عباءتها ليمرر فكرةً أو يثبت أسلوبا من منظور فلسفة وجودية تسير وفق مبادئ سطرها سلفا، و مقولات آمن بها قبل الكتابة حتى يتحقق ما يمكن تحقيقه، و وحدها الفلسفة الوجودية من هذا المنظور مع ما يتوافق و مبادئ إثبات الذات و تحصيل الحرية و إنجاز العدالة، الانسان يحقق ذاته بعد أن يوجد وتحقيق الذات ليس بالرغبة إنما بالسعي إلى تحقيق الهدف، يقول سارتر" إن الذاتية تعني حرية الفرد الواحد من جهة ، وأن الانسان لا يستطيع تجاوز ذاتيته الإنسانية من جهة أخرى، والمعنى الثاني هو المعنى الاعمق في الوجودية(...) إن اختيارنا لنمط معين من أنماط الوجود هو تأكيدا لقيمة ما نختار وإعلاء لشأنه، وكأننا نقول لكل الناس اختاروا مثلما إخترنا، فنحن لا يمكن أن نختار الشر لأنفسنا، وما اخترناه دائما خيرا لنا، ومن ثم فهو خيرا لكل الناس"[1]، فلا عجب إذن أن نجد شيئا يسيرا من سيرة واسيني أو أثرا جللا من هذه السيرة و هي تنعكس على الحكاية و شخصياتها، و السيرة في ذلك تسعى إلى تمرير رسائلها و ذلك حتى يسهل عليه توثيقها من هذا الباب و ذلك حتى يغلفها بشيء من المصداقية التي يتقبلها المتلقي خاصة حينما يتعلق بالقضايا الكبرى التي تهم الشأن العام.

وعلى هذا الأساس يعد توظيف الفلسفة الوجودية وتطبيق مبادئها هو من باب إثبات إيديولوجية هي من الأهمية بما كان ليس في واقع النص فقط، وإنما في واقع الواقع، خاصة وأن هذا الواقع يحتاج أن يسائل كينونته وكينونة من يحققون هذا الواقع ويطرح أسئلة الوجود الكبيرة من أجل فهم صحيح وعميق.

وبناء على هذا المعطى الإيديولوجي تبالغ الحكاية في تصوير الإشكالات التي تحيط بالشخصيات الرئيسة التي تحمل هَمَّ العقل الجمعي، ولذلك ما تفتأ تخرج مريم من مشكلة حتى تدخل في مشكلة أكبر وأعقد حتى لتكاد تقض مضجعها وتعصف بأحلامها بدءا من قيود المجتمع مرورا بعوارض الأعراف والعادات والتقاليد وانتهاء بكوابح السلطة الأبوية التي يفرضها المجتمع الذكوري المتمثلة في الحفاظ على العادات والتقاليد مثل طقوس الزواج وغيرها، " كان الرّجل الملتحي ما يزال مندهشًا. أوف. قلّة حياء يا حرمة.. عظامك جهنّم.

"راح تشوفوا.. وحقّ النّبي والصّحابة، نعلّقكم من رجليكم يا ولا الحرام."[2] يرى الوافدون الجدد – حراس النوايا-أن مريم فتاة غير ملتزمة تسعى لنشر أفكار لا تمد للدين ولا المجتمع بصلة، وبالتالي ستجعل من المجتمع منحل لا يمثل مبادئنا ولا قيمنا الذي تسوده الاخلاق والحياء و تشججع على تبني أفكار الغرب

[1] جون بول سارتر، الوجودية مذهب انساني، تر، عبد المنعم الحنفي، الطبعة الأولى، 1964، ص 16-17.

[2] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق، ص 29-30.

وثقافته، وهذا ما يدفع مريم لعدة تساؤلات " القادمون الجدد، حراس النّوايا، من أعطاهم حقّ اغتيال النّاس؟ ينون أنّك مجرم ثمّ يحاكمونك بناء على نيّتهم. الاعمال بالنيّات يا ولد النّاس... هذه هي بلادك."[1] في الواقع هي رسالة تمثل رفض المجتمع الذي تسوده السلطة الذكورية للرقص وما يبدو لهم منافي للعادات والتقاليد، وحيرة سيدة المقام "مريم" ودهشتها تصور قصة فتاة ناضلت عن حريتها وإنتفضت في وجه المجتمع الذكوري.

2-في مكاشفات المكان

العنوان الحجرة الأولى التي يقف عندها القارئ ومن أجل فهم النص عليه كسر هذه الحجرة فالمكان مجرد كينونة مجازية يرتبط بالوجود ويهدف الراوي إلى تعرية مسرح الاحداث وكشف عن المستور أو الغائب فهذا المحور قسمه الكاتب الى ثلاث عناصر مستهلا في العنصر الاول عن حالة المدينة وذاته "شيئ ما تكسر" ولا غرابة في أن يخضع الكاتب المكان لجوانح وأنفاس التشظي العنف " من هنا يمكن فهم المكان من قبل الحاكي تأبينا ذاتيا ووداعا لحياة وقيم وأفق ليس بوسع الرواية أن تستمر بدون"2 فالعنوان جاء ليعبر عن واقع المدينة والعنف الذي شهدته.

حيث يؤكد عن ذاته من خلال استدعائه للقارئ في حوار وهمي يصف له الحال الذي هو عليه موظفا ألفاظ تعد من جوهر الفلسفة الوجودية "يجب أن تعرفوا أني منهك ومنتهك و حزين و متوحد مثل الكآبة"[3]

أما في العنصر الثاني الذي خصه بالسرد الخيالي للموت وعبثية الحياة التي كانت سمة للوجودية.

وفي العنصر الثالث يسترسل في طرح التساؤلات الغامضة بحثا عن سبب خوف ودوافع القتل الهمجي

-من أين يأتي هذا الخوف المسحور؟

- من أين تأتي راحة الموت والكآبة؟

لقد جاءت العناوين المضمنة في ثنايا النص معبرة عن معطيات إيديولوجية تبناها النص، فالنص يعكس مضامين هذه العناوين، و العناوين بدورها تطرح من البداية ما يتوجه إليه المضمون، و هكذا يتوج أي العنوان و النص في صنع ملحمة أرادها أن تكون مطعمة بإيديولوجية خاصة و معرفة مائزة أرادها أن تكون نوعية و أكاديمية، و لذلك كان من المهم أن يتآزر النص مع عنوان النص في تسويق ما أراد أن تسوقه الحكاية

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق، ص31.

[2] شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الإدمان ط1، 2012، ص128.

[3] سيدة المقام، ص5

خاصة مبادئ الفلسفة الوجودية التي تجلت بشكل واضح و جلي في سير الأحداث، بل و تأصلت أكثر فأكثر كلما تقدمت الأحداث و تعقدت و زادت تأزما.

وعلى هذا الأساس تعكس العناوين و من البداية توجهات الفلسفة الوجودية، أي أراد واسيني الأعرج أن تبدأ الحكاية من هذا التوجه فهي لا تريد أن تتخلى عن توجهات هذا التيار قيد أنملة، فكل عنوان فرعي تقريبا إلا و يشي بمبدأ من مبادئها، و حتى العنوان الرئيس يحمل في طياته ما يوحي بتوجهات هذه الفلسفة، فسيدة المقام يشير إلى مريم و طهارة مريم تماما مثل مريم العذراء، فمريم كانت سيدة، و بل سيدة المقام على الرغم من كل ما اعترضها من معيقات و معترضات كانت من الممكن أن تسقطها في أي لحظة فارقة من لحظات الحكاية الصعبة، وعليه فإن هذه السيادة ما هي في حقيقة الأمر إلا إثبات الذات وسط عالم عبثي جائر و واقع فوضوي ظالم. إنه سعي وراء إقرار الكينونة في شقها المتعلق بالفرد بعيدا عن المجتمع في كليته، وبالتالي فإن عنوان سيدة المقام ما هو إلا تعبير عما تذهب إليه الفلسفة الوجودية وهي تحث الأفراد على إثبات جدارتها بعيدا عن العالم ومقولاته التي تتسم بالتعسف والجور.

لقد أثبتت مريم جدارتها فعلا بصبرها وجلدها مثلما صبرت مريم العذراء ربما، وذلك حينما واجهت قومها وعشيرتها وهم يتهمونها بارتكاب جريمة السفاح عدوانا وظلما، ومريم واسيني في ما يشبه هذه المحنة تواجه تهم المجتمع بأعرافه البالية، وتقاليده المتهالكة وسلوكياته المهترئة بالخروج عن ولاء الطاعة والانحراف عن سنن المجتمع الصارمة و عاداته المتوارثة، فكيف لا تكون سيدة و قد حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن تكون كذلك. لقد أثبتت مريم ذاتها حتى و هي ميتة، أو بالأحرى أثبتت كينونتها و دفعت في مقابل ذلك ثمنا للوقوف في وجه الظلم، و إثبات الجدارة نيلا لحق مهضوم، أو عدل مسلوب، و على هذا الأساس كان العنوان شاملا و جامعا لكل العناوين التي تفرعت عنها في ثنايا النص، و من ثمة كانت مريم سيدة بكل ما تحمله كلمة "السيادة" من معنى تحقيقا لمبدأ إثبات الذات تماشيا مع تنادي به الفلسفة الوجودية في حث الفرد و حضه على مقاومة كل إشكالات الواقع و إكراهاته الملء باللامنطق و العبث واللاعدل، يشير جون ما كوري في مقولة مأخوذ من القديس أوغسطين يقول:" وهكذا إستطاع أوغسطين أن يقول« لا تبق قابعا في ذاتك بل تجاوز هذه الذات أيضا، وضع نفسك بين ذراعي كمن خلقك» وكما تشير هذه العابرة فإن أوغسطين كان يفهم العلو الذاتي للإنسان على أنه نحو الله؟"[1]وفي اثبات الذات أيضا يرى يرى سارتر" ما هو واقع هو ما قرر الإنسان وقوعه لكن هل ينبغي هذا أن نستسلم للتأمل السكوني وأقتنع به؟ كلا بل يجب أن ألتزم حيال ذاتي ثم أضع

[1] جون ماكوري، الوجودية، تر، امام عبد الفتاح امام، عالم المعرفة العدد 58، كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت،1982، ص54.

ما التزمت به طبقا لما يقتضي به القول المأثور« لا حاجة في الأمل حتى أستمر في العمل» بل يجب أن أترك الوهم أنحيه جانبًا وأبدا في العمل ما إستطعت"[1] لقد سعت مريم بل و نشعر بسعيها طول الحكاية في تقديم نفسها على أساس أنثى متمردة متفانية في إظهار شخصيتها القوية على الرغم من لحظات الضعف التي تمر بها بين الفينة و الأخرى مثلها مثل أي شخصية طبيعية أخرى، وهي لا تتواني في دفع الظلم عنها و عن كل مثيلاتها وهن كثيرات وسط هذا المجتمع الذكوري.

ومن هذا المنظور فإن مريم في هذه القصة ما هي إلا كل مريم أخرى في الواقع المعيش، وهي تعيش النزق والظلم والغبن وهن يحالون أن يناضلن من أجل دفع هذا الظلم فتستحق و سم السيدة أو سيدة المقام، وذلك حينما تكافح من أجل حقها في الحياة من دون إجحاف وإنتهاك لحقوق الإنسان، أو حتى اضطهاد الإنسان لحقوق الإنسان.

وفق هذا المعطى تسير بثبات أو على أقل تحاول أن تسير بثبات "لقد أتخمنا بالحديث المكرور. هذا وطني، يسكن رصاصة في دماغي في يومٍ داكنٍ من أيام الخريف، ذات جمعة حزين. ماذا تريدني أن أفعل؟ الله غالب. أبحث عمَّا يميِّزني في هذا العالم حتَّى ولو كان ذلك داخل نوبات الجنون. هكذا أنا مصنوعة. ومع ذلك أشعر أحيانًا بأني أتكسّر، هكذا أنا مصنوعة، ومع ذلك أشعر أحيانا بأني أتكسّر مثل الزجاج. أفكار كثيرة تحمّست لها ونسيتها. من الصعب أن أصبح شيئًا اخر غير أنا جلدي مثل التمساح، يصعب إختراقه"[2]، وعليه انعكس العنوان على النص وانتشر في ثناياه بشكل جيد.

المبحث الثالث: الوجودية الإنسانية

1-الإتجاه الإنساني في الفكروالأدب:

شكّل الإتجاه الإنساني أحد أهم التيارات الفكرية التي أسّست لفهم الإنسان بوصفه مركزًا للكون ومعيارًا للقيم والمعاني. وقد تبلور هذا الإتجاه منذ عصر النهضة الأوروبية، كردّ فعل على التصوّرات اللاهوتية التي نزعت عن الإنسان فاعليته وحرّيته، وأخضعته لإرادات الغيب والقدر.

ففي ظلّ هذا التحوّل، بدأ الفكر الإنساني يستعيد كرامة الفرد باعتباره كائنًا عاقلاً، حُرًّا، قادرا على المعرفة والخلق والتجاوز.

[1] جون بول سارتر، الوجودية مذهب انساني، تر، عبد المنعم الحنفي، الطبعة الأولى، 1964، ص 37-38.

[2] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق، ص22.

لقد عبّر بعض الفلاسفة في القرن السادس عشر عن هذا الاتجاه بقوله: "ليست الطبيعة هي التي تصنع الإنسان، بل التربية والثقافة"[1]، وهو قول يؤسّس لتصوّر مفاده أن الإنسان مشروع مفتوح، يصنع ذاته من خلال العقل والعمل والقيم. وسيتطوّر هذا المنحى في الفكر الفلسفي الحديث، لا سيما مع إيمانويل كانط الذي جعل الكرامة الإنسانية مبدأً أعلى في فلسفته الأخلاقية، حين أكّد في "أسس ميتافيزيقا الأخلاق" أنّ "الإنسان غاية في ذاته، لا مجرد وسيلة"[2].

وفي القرن العشرين، عرفت النزعة الإنسانية إعادة بناء جذرية، خصوصًا مع الفلسفات الوجودية والتأويلية، حيث لم يعد الإنسان موضوعًا ثابتًا أو جوهرًا محددًا سلفًا، بل أصبح سؤالًا مفتوحًا. وقد ذهب جان بول سارتر إلى القول إن "الإنسان لا يوجد إلا بقدر ما يصنع ذاته" [3]، وهو بذلك يعيد تعريف الإنسان بوصفه كائنًا مسؤولا عن اختياراته في عالم متروك له، بلا ضمانات ميتافيزيقية.

في الأدب، تزاوج الاتجاه الإنساني مع تمثيل معاناة الفرد، وفضح أشكال القهر الإجتماعي والسياسي، وإستبطان الهشاشة الوجودية للإنسان. فالأدب لم يكن مجرّد حامل لقيم أخلاقية مجرّدة، بل جسّد، عبر التخييل، وجوه الوجع الإنساني، والإنكسارات، وتوق الإنسان إلى الخلاص. وهذا ألبير كامو قدّم لنا رؤية عميقة حول مفهوم الحرّية والمسؤولية من خلال كتاباته وأعماله الفكرية. واحدة من أفكاره المركزية تتعلّق بمدى مسؤوليتنا عن حياتنا وظروفنا. قال كامو: "إنّنا غير مسؤولين عن أمنا وأبينا، أو إسمنا، أو ديننا، فكلها حصلت قبل وجودنا، أما المستقبل، أو المصير فنحن مسؤولون عنه، وعلينا أن نقرّره، ونختاره، وهذه هي الحرية المسؤولة"[4].

النزعة الإنسانية في الفكر العربي:

لم تكن النزعة الإنسانية غريبة عن الفكر العربي الإسلامي، بل ظهرت مبكرًا في كتابات الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة، الذين قدّموا تصوّرات متقدمة عن كرامة الإنسان وفاعليته ومسؤوليته الأخلاقية. فقد أكّد الفارابي أن "الإنسان مدنيّ بالطبع" [5]، أي لا تكتمل كينونته إلا في إطار الجماعة والعقل التواصلي، ما يعكس رؤية إنسانية تؤمن بقدرة الإنسان على بناء المدينة الفاضلة من خلال العقل والمشترك الأخلاقي.

[1] عامر شطارة، جدلية الطبيعة والثقافة في الفكر الحديث، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، مج11، عدد1، 2018، ص113.

[2] ينظر: عبدالرحيم فاطمي، تحليل نصّ إيمانويل كانط "الشخص غاية في ذاته". https://fr.scribd.com/document .

[3] جون بول سارت، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة عبد المنعم الحفني، الدار المصرية للنشر، مصر، ط1، 1964. ص47.

[4] الحرية المسؤولة، رؤية ألبير كامو للمستقبل والمصير، الرواية نت، 05/جويلية 2024. اطلع عليها يوم: 2025/05/24.

[5] الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق ألبير نصري نادر، ص98.

أما إبن رشد، فقد كان من أبرز المدافعين عن العقل بوصفه جوهر الإنسان ومصدر قيمته، رافضًا كل إنغلاق دوغمائي يُقصي العقل لصالح النقل. وقد ذهب إلى القول إن "النظر في الموجودات يدلّ على الصانع"[1]، مبيّنًا أن المعرفة والعقل هما طريقا الإنسان نحو الكمال. هذا الموقف يجسّد صورة للإنسان الباحث، القادر على بلوغ الحقيقة بكدّه وجهده العقلي.

أمّا في الفكر العربي الحديث، فقد ارتبطت النزعة الإنسانية بإرادة النهضة والتحرّر، وبالمطالب الإجتماعية والسياسية في الكرامة والعدالة. فقد دعى عبد الرحمن الكواكبي إلى تحرير الإنسان من الإستبداد، مؤمنًا بأن "الحرية هي أعزّ ما يطلبه الإنسان"[2].

وفي السياق نفسه، إنشغل كلّ من طه حسين ومالك بن نبي في مشروعهما الثقافي والنهضوي "بإعادة الإعتبار للعقل والذات، من خلال انفتاح على التراث الإنساني في شموليته، معتمدين على المنظور القائل بأنّ الثقافة الحقة هي التي تمكّن الإنسان من أن يكون حرًّا في تفكيره، نبيلا في سلوكه"[3].

وقد شهد الفكر العربي المعاصر إعادة مساءلة للمفاهيم الإنسانية في ضوء الإستعمار، والحداثة الغربية، وأزمات الهوية. فذهب محمد أركون إلى تفكيك البُنى الفكرية التقليدية التي عطّلت فاعلية الإنسان، ودعا إلى ما سمّاه بالعقلانية المنفتحة كمدخل لإعادة بناء النزعة الإنسانية الإسلامية على أساس نقدي، كما انطلق محمد عابد الجابري في مشروعه المعرفي، إلى غير هؤلاء من المفكرين والمثقفين.

إن هذه الإمتدادات المتنوّعة للنزعة الإنسانية في الفكر العربي تكشف عن جذرية السؤال الإنساني في الثقافة العربية، وعن تداخل البُعد الفلسفي بالبُعد الأخلاقي والروحي والإجتماعي، كما تُمهّد لفهم أكثر عمقًا للبُعد الإنساني في النتاج الأدبي العربي الحديث، بما في ذلك الرواية بوصفها فضاءً لاستنطاق الإنسان العربي في تحوّلاته، جراحه، وتطلعاته.

من هذا المنظور، تُعدّ الرواية المعاصرة، ولا سيما الرواية المغاربية، حقلًا خصبًا لتجليّات هذا البعد الإنساني، بما تحمله من انحياز للمهمَّشين، وتفكيك لبُنى القمع، واستعادة لذاكرة الألم الجمعي. إذ لم تعد الرواية مجرّد تمثيل للواقع، بل أصبحت فعلا إنسانيًا يقاوم النسيان، ويرمم الكينونة، ويمنح الصوت لمن لا صوت له.

[1] منى أحمد أبو زيد، المدينة الفاضلة عند ابن رشد، منشأة المعارف، مصر، 2000، ص.33

[2] عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مؤسسة هنداوي، ط1، 2014، ص20.

[3] عبد العزيز بو الشعير، محورية الإنسان في حركة التاريخ عند مالك بن نبي، مجلة كلمة، عدد91، 2016

البعد الإنساني في الرو اية العربية:

يُعدّ الفعل الإبداعي – في أحد أبعاده الجوهرية – نوعًا من المقابلة بين الذات المُبدِعة والبعد الإنساني الذي يتغلغل في العمل الأدبي، بحيث لا يمكن فصل التجربة الفردية للمبدع عن السياق الجمعي الذي يستمدّ منه مادته الخام. فحتى أكثر الأفعال الإبداعية خصوصية، تبقى مشروطة بانتمائها إلى التجربة الإنسانية العامة، وهو ما يجعل من القيمة الإنسانية مكونًا لا غنى عنه لقبول العمل وتقديره ضمن الحقل الأدبي. وفي هذا السياق، يرى بول ريكور أن "الخيال لا يُعفى من المسؤولية الأخلاقية، بل هو أحد أهم مصادر الوعي الإنساني "[1].

الرواية العربية، في مسيرتها الطويلة، صارت في الغالب على هذا النهج؛ إذ شكّلت مساحة للتعبير عن القيم العليا مثل الخير، والحق، والجمال، وظلّت تنزع نحو الاحتفاء بالإنسان كقيمة وكمصير. غير أن تحوّلات المشهد العربي، لا سيما بعد أحداث ما يُعرف بالربيع العربي، قد أعادت تشكيل منظومة القيم التي تتكئ عليها الرواية. لم تعد الغاية الرئيسية هي الانتصار للمثاليات، بل أصبح الهمّ الإنساني مركزيًا، حتى وإن تم التعبير عنه من خلال العتمة والقلق والانكسار.

لقد صار النص الروائي المعاصر – في أغلب حالاته – فعلَ احتجاجٍ على واقع إجتماعي ونفسي ضاغط. فالمُنتج السردي لم يعد يطمح إلى خاتمة مثالية، بل بات معنيًا بتفكيك الواقع وكشف علله البنيوية عبر الغوص في التجربة الإنسانية من الداخل. وفي هذا السياق، يذهب ميلان كونديرا إلى أن الرواية لا تُعنى بالحقيقة الموضوعية، بل بما هو وجودي، بما يُشبه الحقيقة الداخلية للشخصيات"[2] .

إن هذا التوجه الجديد جعل من السارد مرآةً يرى فيها المتلقي ذاته، حيث تُكتب الرواية، لا من أجل تقديم حلول، بل من أجل طرح الأسئلة المحرجة والمؤجلة، وإزاحة الأقنعة عن هشاشة الواقع. ويمكن فهم هذه النقلة النوعية في ضوء تحوّل الرواية إلى نوع من "الإستجابة الجمالية الغاضبة"، كرد فعل على التغييرات التي عصفت بالإنسان العربي، سياسيًا وثقافيًا ونفسيًا، وهو ما يلتقي مع ما يقترحه إدوارد سعيد عندما يعتبر أن "الكتابة الحقيقية تنبع من لحظة مواجهة بين الذات والمجتمع، بين الخيال والسلطة"[3] .

[1] بول ريكور، الذات كآخر، ترجمة جورج كتورة، المركز الثقافي العربي، 1992، ص. 114.

[2] ميلان كونديرا، فن الرواية، ترجمة صالح الآداب، 1993علماني، دار المدى، 1999، ص. 21.

[3] إدوارد سعيد، تمثيلات المثقف، ترجمة فواز طرابلسي، دار ، ص. 17.

وبناء عليه، يمكن القول إن الرواية العربية المعاصرة لم تعد تقتصر على رسم ملامح النماذج الإيجابية أو تقديم الحكايات الملهمة فحسب، بل أصبحت – إلى حد كبير – فضاءً نقديًا للبوح بالقلق الوجودي والإنكسارات النفسية. لقد تجاوزت مرحلة الخوف إلى مرحلة القلق، محاولةً التأسيس لوعي جديد بالذات والواقع، في زمنٍ تهيمن عليه صدمات متتالية: من الحروب إلى الأزمات الإقتصادية، ومن التفسّخ الإجتماعي إلى الإجتياح التقني، وكلها تُثقل كاهل الإنسان العربي الذي يجد نفسه أمام سؤال ملحّ: هل لا يزال الإنسانُ يجد حضوره ووجوده ممكنًا.

2-الجانب الإنساني في روايات واسيني الاعرج:

تمثل روايات واسيني الأعرج نموذجًا سرديًا حيًّا على ما شهده النص الروائي العربي من تحوّلات جذرية في تمثيل البعد الإنساني، خاصة بعد الأحداث المفصلية التي شهدتها المجتمعات العربية خلال العقود الأخيرة. فالأعرج، بوصفه واحدًا من أبرز كتّاب الرواية في الجزائر والعالم العربي، انشغل في مشروعه الروائي بالتقاط التمزقات التي تصيب الفرد والجماعة، عبر مداخل إنسانية تنأى عن المباشرة الدعوية، وتقترب من التورط الجمالي والفلسفي في شؤون الإنسان.

من أبرز ما يميّز تجربة واسيني الأعرج هو إصراره على أن تكون الرواية مساحةً لتفكيك الوجع الإنساني من الداخل، لا التبشير بالخلاص أو الانتصارات الساذجة. ففي رواية "البيت الأندلسي" مثلًا، تتكثف ثنائية (المنفى والحنين) بوصفهما شكلين من أشكال الخسارة الوجودية، حيث تُبنى الرواية على مأساة إنسان يبحث عن جذوره في عالم لا يعترف بالهويات المركبة، فتغدو الرواية صرخة "كائن عربي/ أندلسي" يشعر بالإختناق داخل منظومة ترفض تعدده. هذا ينسجم مع ما يذهب إليه "ريتشارد كيرني" من أن «الهوية لا تتأسس على التماثل، بل على الإعتراف بالمغايرة في الذات نفسها"[1].

أما في رواية "أصابع لوليتا" فإن واسيني يُجسّد ببراعة مأزق الكتابة في ظل الخوف والقمع، حين تصبح الكتابة ذاتها فعلًا وجوديًا مقاومًا، لا فقط من أجل قول الحقيقة، بل من أجل النجاة من الإنمحاء. فالشخصيات في الرواية لا تسعى إلى تغيير العالم بقدر ما تحاول الاحتفاظ بجوهرها الإنساني أمام آلة العنف السياسي والرمزي. وهنا يتقاطع السرد مع مقولة ج.ب.سارتر: "الكتابة التزام وجودي، لا مجرد فعل جمالي"[2]

[1] ريتشارد كيرني، الغيرية: أخلاقيات الآخر، ترجمة وجيه قانصو، المركز العربي للأبحاث، 2014، ص. 88.
[2] جان بول سارتر، ما الأدب؟، ترجمة عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، 1996، ص. 15.

بل إن واسيني في رواية "سيدة المقام" يذهب أبعد، حين يُحوّل الجرح الروحي إلى فضاء سردي مفتوح على واقع استثنائي جمع فيه الراوي بين المتناقضات الحب والعنف والرقص والبحث عن هوية، أين اصبح "الألم" سمة الرئيسية في الحكاية، مما يمنح الرواية بعدًا موضوعيا يتقاطع فيه الحكي الذاتي والتجربة الواقعية، تتداخل فيه الحقيقة بالحلم، والصراع بين الذات والاخر، ليصبح السرد شكلاً من أشكال البحث عن المعنى مما يعكس جوانب إنسانية عميقة. وفي هذا السياق ذاته في رواية سيدة المقام حفلت بمحكيات، تمثلت في معاناة الإنسان في تسليط واسيني الضوء على أحداث العشرية السوداء في لبنتها الأولى وما تبعها من عنف، مثله في انكسار الأحلام الفردية في صورة "مريم" والجماعية لشعب الجزائري ككل، الذي عانا من ضيق هامش الحرية، التي ومن هنا يمكن اعتبار سرد واسيني تطبيقًا حيًا لمقولة بول ريكور: "الهوية السردية ليست تكرارًا للذات، بل إعادة تأويل مستمرة للكينونة"[1].

هكذا، نرى أن واسيني الأعرج لا يتعامل مع الرواية كوسيلة لـ"الترفيه" أو "التسلية"، بل كحقل تأمليّ لإستعادة الإنسان وسط العنف الإرهابي والإنهيارات. إن كتاباته تنطوي على (ردّ فعل غاضب أو باكٍ أحيانًا على واقع مختلّ)، كما أنها لا تخجل من الغوص في السلبية، لأن السلبية نفسها أداة انكشاف. وهو في ذلك يعبّر عن المرحلة الراهنة التي تجاوز فيها السرد العربي فكرة النهايات السعيدة إلى ما يمكن تسميته بـ(الرؤية المأزومة للوجود)، وهي رؤية تتقاطع مع ما أشار إليه إدوارد سعيد من أن "المنفى ليس فقط حالة مادية، بل هو أيضًا شرط فكري دائم"[2]

المنحى الإنساني في رواية "سيدة المقام":

سيدة المقام رواية شديدة الإنسانية، يصور فيها الحاكي تصوير واقعي للمعاناة الإنسانية، في ظل التحولات والصراعات، ذات الطابع السياسي والواقعي المأساوي، وهي من أبرز روايات واسيني التي تجمع بين التاريخ والحاضر بلغة رفيعة. وأحداثها تدور في خلفية العشرية السوداء في الجزائر، وتصف كيف يتحوّل الإنسان إلى كائن محاصر بالخوف، وتحت تهديد الموت المجاني. حيث نجد في بطلة الرواية راقصة الباليه (مريم)، والسارد بطل الرواية، الذي ينقل الحدث المأزوم الذي خلخل كيان البلاد وأدخلها في دوامة عنف ويمكن رصد مظاهر الإتجاه الإنساني في الرواية في العناصر الآتية:

[1] بول ريكور، الذات كآخر، مرجع سابق، ص. 146

[2] إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ترجمة ثائر ديب، دار الآداب، 2002، ص. 19

يتجلى المنحى الإنساني إمرأة تعاني الوجود "مريم" في زمن الفوضى وإلا أمن والضغط الإجتماعي الذي عاشته من قبل المتمثل في المجتمع الذكوري، لذا تتعامل مع الضغط برؤية ذاتية ومسؤولية، يصورها الراوي كبطلة إشكالية، لما لها من رؤية ووعي بالزمن، فهي تصارع الزمن لإثبات وجودها وكينونتها،" إنه تاريخك يا مريم! اليوم الّذي ثقبت دماغك رصاصة. التاريخ الذي كان يفترض أن يكون فيه يوم موتك ولكنّه لم يكن. قال لك الأطباء لا خيار لديك سوى أن تتعايشي معها، وتعايشت مخترقة كلّ طقوس الحذر"[1]، فها هي تؤطر حاضرها، منذ الاصابة بوعي كفنانة لها موقف يحدد طريقة تعاملها مع تحولات الزمان المرأة بوصفها صوت الحياة:

(مريم) باعتبارها أحد أبرز الشخصيات الرئيسية في الرواية، تتجلّى ليست فقط كإمرأة، بل كرمز للحب، والحرية، والإرادة التي تقف في وجه المجتمع الذكوري باسم الحرية. والمنحى الإنساني هنا واضح، ومفاده: الأنثى كضوء في عتمة التخلف والتطرف، برقص يوقظ الذاكرة. ونلاحظ هذا المشهد الذي تحضر فيه مريم، ليس فقط كشخصية، بل كصورة إنسانية رمزية، تمثل الحب والإصرار على البقاء وذاكرة حية في الرواية وفي ذهن المتلقي.

" كانت مرْيم وردة هذه المدينة وحلمها، وتفّاحَة الأنبياء المسروقة في لحظة غفلة، رعشة المعشوق وهو يكشف فجأة خطوط جسد معشوقته. لكنّها فجأة سقطت من تعداد كل الأشياء الثمينة الّتي ظلت مدّة طويلة تهتز بها البنايات، والشوارع وقاعات المسرح وصالات الرقص، والحارات الشّعبيّة التي بدأت تتأكل على أطراف المدينة التي غيرت طقوسها وعاداتها"2

وما يجعل هذا المشهد مهمّا في جانبه الإنساني:

- يُظهر مريم وردة والتفاحة كفعل حياة، ورعشة المعشوق كلغة البقاء.

- مريم تصبح رمزًا للذين يُصرّون على الوجود وسط التسلط الذكوري.

- الحضور الأنثوي هنا مُعادل للروح :هي لا تحارب بالسلاح، بل بالرقص، بالذاكرة، والمسرح والدفء الشعبي.

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق .ص9

[2] المرجع نفسه، ص5-6.

ففي زمن يذوب فيه الإنسان، تقول مريم "وهي تتنفس بصعوبة: أرجوك اقرأ. اقرأ. لا تتوقف. أريد أن أسمع صوتك. أن تأخذني الإغفاءة على كلماتك. اقرأ أيها الرّجل الصّغير"[1].

في زمن الموت، تصبح "مريم" الفتاة التي تستيقظ بفعل الكلمات التي تحمل معاني الحياة والبقاء لتقول كلمتها الأخيرة مخبئة خلفها ابتسامتها المنهكة.

مريم بوصفها أبجدية غائبة. رقصة مستعصية، والأغنية التي تسدّ الحلق رمز الحكاية المعشوقة والإنسانية، محنة الغريب، الظل الذي يختبأ دائما وراءه الجسد المكسور، تهددها أيديولوجيات متطرفة وأعراف متحجرة تقاوم السقوط وحكاية يرويها الفجر.

ففي زمن العبث تبرز الإنسانية المهددة بجمالها ورقصها" مريم" المرأة القوية تتحدى الصعاب وتتمسك بحلمها الذي يرافقها وصورة لكينونتها ووجودها.

في النهاية:" مريم" في الرواية ليس مجرّد إسم أنثوي، بل امرآة رمزية للإنسان يصعب ترويضها.

المبحث الرابع :الحرية والمسؤولية في الفكر والأدب

أولًا: عند الغرب:

لقد احتلّ مفهوما الحرية والمسؤولية موقعًا مركزيًا في الفكر الفلسفي الغربي، خاصة منذ نشوء الحداثة، وارتبطا مباشرة بوعي الإنسان بوجوده وبموقفه من العالم. فقد اعتبر جون ستيوارت ميل (J. S. Mill) أن "«حرية الفرد تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين"2، ما يُبرز الوعي بالمسؤولية الأخلاقية بوصفها شرطًا لشرعية الحرية، ويؤسس لتصورٍ حداثي يقوم على احترام الذات والغير.

أما في الفكر الوجودي، فقد إقترنت الحرية بوعي الإنسان بجوهره ككائن حر في عالم لا يملك فيه مرجعية متعالية أو يقينًا مطلقًا. وقد قال جان بول سارتر: "الإنسان محكوم عليه بالحرية"3، مشيرًا إلى أن الحرية ليست امتيازًا بل عبء، لأن على الإنسان أن يختار بإستمرار ويتحمّل نتائج إختياره. فالحرية – عنده – لا تنفصل عن المسؤولية الفردية التي تُصاغ في غياب أي سلطة خارجية تعطي للحياة معناها.

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق، ص7.

[2] جون ستيوارت ميل، عن الحرية، ترجمة كمال السيد، دار التنوير، ص 95.

[3] جون بول سارتر، الوجودية نزعة إنسانية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، ص 46.

كما عمّق ألبير كامو هذا التصوّر حين رأى أن التمرد هو شكل من أشكال تحقيق الحرية، ولكنه لا يكون مشروعًا إلا إذا تأسس على وعي أخلاقي بالآخر. فهو يقول في الإنسان المتمرد: "أنا أتمرد، إذن أنا موجود، ولكنني أتمرد أيضًا من أجلنا"[1]، وهنا تتجلى العلاقة الوثيقة بين حرية الذات وتضامنها مع الآخر.

في الأدب الغربي، جسّدت الرواية هذه الإشكالية الوجودية للحرية والمسؤولية من خلال شخصيات مأزومة، قلقة، تُجرَّد أحيانًا من حريتها الظاهرة، لكنّها تكتشف مسؤوليتها الداخلية حيال المعنى. ففي أدب دوستويفسكي مثلًا، نجد شخصيات تتصارع مع قدرها، وتُختبر أخلاقيًا من خلال مواقف وجودية صارمة، كما في شخصية «راسكولنيكوف» في الجريمة والعقاب، الذي يكتشف أن الحرية المجرّدة من المسؤولية تنتهي إلى تدمير الذات والآخر.

ثانيًا: في الثقافة العربية

في الفكر العربي، لم تُطرح الحرية فقط بوصفها مطلبًا سياسيًا أو إجتماعيًا، بل تمّ تأصيلها أيضًا بوصفها "مقامًا أخلاقيًا وروحيًا". فالحرية عند عبد الرحمن بن خلدون – رغم إنشغاله بعلم العمران – كانت ملازمة لفكرة «العدل» بوصفه أساس العمران: "الظلم مؤذن بخراب العمران"[2]، أي أن الحُكم الجائر يقوّض حرية الإنسان ومسؤوليته في التعمير والتقدّم.

وفي التصوف الإسلامي، تكتسب الحرية بُعدًا داخليًا، حيث تكون مرتبطة بالتحرّر من سلطان الهوى والغرائز لا فقط من الاستبداد الخارجي. فالمتصوفة يقولون: "الحر عبد ما دام مقيدًا بنفسه"[3] ، وهو ما يجعل المسؤولية الذاتية شرطًا أصيلًا للحرية الحقة.

أما في الفكر النهضوي الحديث، فقد ارتبطت الحرية بالتحرّر من الإستبداد والتخلف، وبناء مجتمع إنساني حرّ. وقد دعا عبد الرحمن الكواكبي إلى الحرية بإعتبارها فطرة وجوهرًا إنسانيًا، قائلاً: "الحرية هي أغلى ما يطلبه الإنسان"4. وفي الوقت نفسه، كان يُحمّل الشعوب مسؤولية خضوعها للإستبداد، بقوله: "المستبد لا يتجرأ على الظلم إلا عندما يرى من حوله عبيدًا يقبلون الظلم"[5]

[1] ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ترجمة جورج أبي صالح، دار الآداب، ص 28.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، ص 289.

[3] عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، دار الكتب العلمية، ص31

[4] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد، موفم للنشر، الجزائر، ص 55

[5] المرجع نفسه، ص 60

وفي الفكر العربي المعاصر، سعى محمد عابد الجابري إلى إعادة بناء مفهوم الحرية من داخل الثقافة العربية الإسلامية، معتبرًا أن "الحرية لا تعني فقط أن تقول، بل أن تقول ما تعتقد، وأن تتحمّل نتائج ما تقول"[1]. وهذا التأكيد على العلاقة بين حرية التعبير والمسؤولية الأخلاقية يعكس تصورًا يدمج البعدين في وحدة فكرية وأخلاقية.

أما في الأدب العربي، فقد عالجت الرواية هذه الإشكالية في سياقات مختلفة، خصوصًا في ظل الإستبداد والقمع السياسي. في روايات عبد الرحمن منيف، مثل "شرق المتوسط"، تظهر الشخصيات وقد أُفرغت من ذاتها تحت آلة السجن والتعذيب، غير أن بعضها يُبقي على وهج داخلي يؤكد أن الحرية لا تُختزل في الوضع الخارجي فقط، بل تُمارس أيضًا بوصفها موقفًا أخلاقيًا وروحيًا. يقول أحد شخصيات الرواية: "أن تبقى قادرًا على الحلم... هو نوع من الحرية"[2].

1-الحرية والمسؤولية في رواية سيّدة المقام.

نواصل رحلتنا مع "سيدة المقام"، وهذه المرة من ناحية: الحرية والمسؤولية في بعدها الإنساني.

واسيني الأعرج، وهو يكتب هذه الرواية، لا يقدّم فقط سردًا عن الجزائر المجروحة، بل يطرح سؤالًا وجوديًا كبيرًا:

ما معنى أن تكون حرًّا في زمن القتل؟ وما مسؤوليتك حين يكون الصوت الوحيد المسموح به هو صوت الرصاص؟ لعلّ هذا ما يحاول واسيني الاعرج الإجابة عنه في رواية سيدة المقام. ويمكننا رصد تجليات هذا الجانب في العناصر الآتية:

أولا- الحرية:

شخصيات الرواية، وعلى رأسهم "مريم" و"الأستاذ"و"أنطوليا"، تمثّل نماذج بشرية تواجه القمع والعنف والمصير المأساويّ، ولكن هذه النماذج لا تسلّم داخلها. ففي ذروة التطرف الأيديولوجي والديني، تظل مريم ترقص، فهذه الأفعال الصغيرة تمثّل ممارسة رمزية لذاتية و الحرية، والحرية هنا ليست مطلقة، بل مسؤولة ومحدودة، لكنها ضرورية من أجل الكرامة الإنسانية. ومن المقاطع التي تجسّد ما نقوله:" أتعرف ما معنى أن تجرح امرأة في كبريائها، ذكوركم مجتمعة لن تعيد لها لحظة واحدة من عنفوانها المقتول في بداياته الأولى،

[1] الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 121

[2] عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات، ص93

لحظة واحدة تختارها بإرادتها تساوي دنياكم كلّها"[1]، يرى واسني من خلال سيدة المقام أن الانسان الحر هو الذي يتحرر من جميع القيود، التي تقف في وجه الحياة من قبل من اعراف وتقاليد، فهو يرى الانسان الحر هو الذي لا يحصر نفسه في وسط القيود الموروثة ويبقى رهين الماضي ويقبل بالإستبداد، فواسيني يتخذ من شخصية مريم نموذج يعوا من خلاله كل انثى للتحرر.

وفي قول اخر:"عنيدة أنت يا مريم. لا تريدين أن يناقشك أحد في يقينك. في حبَّك. عندما تحبِّين، تصلين إلى درجة الغواية والموت. ذات مرة سرقنا الحديث حول طائر النّار وبحيرة البجع، كنَّا بين سترافانيسكي وتشايكو فسكي. قلت صادقوا كورساكوف، وفي لحظة الغفلة سرقوا ابداعاته. لم يكن مهمّا أن نختلف لأنّي لم أكن مفوّضا من أحد"[2].

فدلالة هذا المقطع أنّ: الحرية هنا ليست مجرد رغبة ذاتية، بل حاجة داخلية لإثبات وجودها وكينونتها. والمسؤولية تأتي من إدراك أن الرقص والمشاعر ليس للهروب، بل للبقاء في جهة الإنسان. مريم تعرف ثمن إختيارها، لكنها تصر عليه. وهنا تتجلى الكرامة الإنسانية الحرّة الواعية، مريم في هذه الرواية لا تهرب من الواقع، ولا تساوم على رغبتها، بل تدفع ثمن حريتها غاليًا. وفي بعدها الإنساني، تصبح الحرية عندها مسؤولية أخلاقية تجاه الحياة، وفي هذا يشير توماس آر فلين في تعليق على موريس ميرولوبونتي: " هي أن نعرف الدور الذي تلعبه الحرية وهل نستطيع أن نعطيها شيئا دون التخلي عن كل شيء"[3]، وتجاه الإنسان الضعيف المصاب الذي يصارع الموت، تتجلى المسؤولية والروح الإنسانية لمريم في قول الراوي:" هل كان من الضروري أن تصيبك تلك الرّصاصة الملعونة!؟! وأنت تحاولين إنقاذ الشّاب الّذي لعن الدنيا ولم يجد حتى الوقت لتوديعها بعينيه ثم انطلق كالسّهم بشاحنة باتّجاه الحائط الهرم.."[4]وهي بذلك لا تدّعي البطولة، لكنها تتّخذ موقفًا جوهريًا من الوجود: أن لا تستسلم للعنف ولا تتفق مع الظلم والتسلط والإرهاب ولا للأعراف الساذجة، من خلال هذا تتجلى نظرة الراوي للحيلة على أنها قصيرة، يبرز لنا واسيني هدف وجودي وإبراز شخصية "مريم" من حلال إتخاذ القرار في سبيل إنساني " ولهذا يبين لنا أهمية القرار والإلتزام والتعهد

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق، ص26

[2] المرجع نفسه، 60

[3] [3] توماس آر فلين، الوجودية: مقدمة قصية جدا، تر، مروة عبد السلام، هنداوي، الطبعة الأولى، 2014، ص66.

[4] واسيني الاعرج، سيدة المقام، المرجع السابق، ص15.

والحرية وارتباط الحرية بالمسؤولة، بحيث يصبحان وجهين لعملة واحدة"[1]، فالراوي ينحو منحى وجودي في صرخة انقاذ فرد من الموت.

ولنستحضر مقطعًا آخر، من منظور الحاكي يُجسّد البعد الإنساني للحرية والمسؤولية، لا كفكرة تجريدية بل كوجع يعيشه الفرد في زمن القمع: " وحياتك هذه هي الحقيقة، وعليك أن تقبلي بها، رصاصة في الرأس ومازلت حيّة. الأطباء قالو نزعها يُفْقِدُكِ حياتَكِ، تالفي معها. فالدّنيا كلّها، تآلف مع الكآبات والأحزان. ولكن هذه هي الدّنيا تضطهدني في ما تبقّى من كبريائي. أحببتها بقوّة، وفجأة شعرت بشيء يشبه الزّيف الحزين يأخذ منّي حميميّتي. (...) لا أريد أن أكذب عليك. يجب أن تتوقفي عن رقص الباليه. في أسوء الأحوال أن تخففي من حركاتك. لكنه حياتي يا سيدي."[2]

إذًا ما يدلّ عليه هذا المقطع أنه: يُظهر كيف أن الحرية مسؤولية مؤلمة، فالموت يؤهل الإنسان لتجربة حياة جديدة يستمد منه صرخته إلى أبعد حد وتؤدي إلى الحرية، إلا أنها تتطلب شجاعة يومية حتى من دون بطولة. حتى وإن اعترف الطبيب بخطورة الرقص، لكنها لا تستسلم له. كما يلتمس القارئ من الراوي هشاشة هو كذالك يتجلى فيها صدقه، أين يعجز عن مجابهة الحياة كما واجهتها سيدة المقام في قوله" ليكن. لقد آن الأوان لتصفية حسابي مع نفسي. عفوًا مريم! لقد كان الألم أفظع."[3] وهذا الإعتراف بالهشاشة هو ما يجعل حريته أكثر صدقًا وإنسانية. كما نلاحظ الراوي أنه يربط المشهد بالرقص والآخرين، في قولها: "تذكرت إكاترينا مكسيوفا. منذ تلك اللحظة كان إصراري يتنامى بقوة إصرار لا يقهر. كنا قد قد قدمنا العرض الأول ونستعد للعرض الثاني عندما جاءت تلك الرصاصة الطائشة"[4] لا بمصيرها وحدها. وهنا تتضح المسؤولية الأخلاقية التي تتجاوز الذات إلى المجتمع، حتى في أبسط الأفعال.

2- الحرية مسؤولية تجاه الآخر:

الحرية في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج، ليست فردية، بل مرتبطة بالمساءلة تجاه ما يحدث للناس. وكأنها تطرح أسئلة من قبيل: هل يحق لك أن تعيش حياة طبيعية بينما يُقتل الآخرون؟ كيف تجد

[1] جون ماكوري، الوجودية، تر، امام عبد الفتاح امام، عالم المعرفة العدد 58، كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت،1982، ص11.

[2] واسيني الاعرج، سيدة المقام، ص 39.

[3] المرجع نفسه، ص281.

[4] المرجع نفسه، ص39-40.

طعم الحياة بينما تُغتال الأحلام من حولك، أو في مكان آخر قريب أو بعيد؟ هذا السؤال يلاحق البطل، ويكشف أن الإنسان الحر "مطالب بأن يختار، لا أن يصمت فقط".

في الرواية تتجلى الحرية كمسؤولية أخلاقية تجاه الآخر، لا كحق فردي معزول. الرواية تُحمّل الفرد مسؤولية أخلاقية تجاه ما يحدث للآخرين، وتطرح تساؤلات عميقة حول إمكانية العيش بحرية في ظل معاناة الآخرين. يتجسد هذا المفهوم من خلال شخصية البطل، أستاذ الفنون العائد من أوروبا، والذي يجد نفسه محاطًا بالعنف والتطرف في بلده، مما يدفعه إلى التساؤل عن جدوى حياته في ظل هذه الظروف.

حيث يتساءل البطل، أستاذ الفنون العائد من أوروبا، قائلا: ماذا تساوي في هذا البلد؟ أيها الأستاذ والكاتب المحترم! المتخرج من مدرسة للفنون الجميلة بإيطاليا. دكتوراه دولة. تخصص تاريخ الفن الكلاسيكي."...أكبر تكريم أن يعاد لثقافة وجودها الحقيقي...ماذا بقي فيك؟ هل نسيت شيئًا من بطولاتك لم تذكُرْهُ؟ قالو لك لماذا لم تبقّ هناك في بلاد النّور؟ قلت وطني، وقتها كان قريبًا من قلبي. قلت سأعود. كنت سعيداً حتى وأنت تواجه متاعب الجمارك الّتي تجده لذّة في إتعابك عندما تكون حقائبك فارغة."[1] ، تتجلى الحرية والمسؤولة في الإلتزام الأستاذ معنى و جدوى حياته في ظل معاناة الآخرين.

هذه التساؤلات وغيرها تُبرز الصراع الداخلي للبطل، وتُظهر أن الحرية ليست فقط في الإختيار، بل في تحمل تبعات هذا الإختيار، خاصة عندما يتعلق الأمر بمصير الآخرين.

وفي ذروة الرواية، تُجسّد شخصية مريم، راقصة الباليه، هذا المفهوم بوضوح. فهي تصر على أداء رقصة "شهرزاد" رغم إصابتها برصاصة في رأسها، في تحدٍ للواقع القاسي، وتأكيد على أن الحرية تتطلب مواجهة المخاطر من أجل الآخرين. موتها أثناء الرقصة يُبرز الثمن الباهظ للحرية، ويُظهر أن إلتزامها بالفن والحياة كان موقفًا أخلاقيًا ضد القمع. هكذا تُجسّد هذه الرقصة تحدّيًا للموت والقهر والعنف، وموقفًا أخلاقيًا يُعبّر عن إلتزامها بالفن والحياة. يُظهر هذا المقطع كيف تتحوّل الحرية إلى فعل مقاومة ومسؤولية تجاه الآخرين، حيث تُقدّم مريم جسدها قربانًا للحياة في وجه العنف.

مظاهر أخرى للحرّية والمسؤولية:

كذلك يوظّف واسيني الأعرج في هذه الرواية مقطع غنا كفعل تحرّر؛ فالراوي يستخدم، الغناء لا كفن شعبي فقط، بل كوسيلة لنسيان كما قال أحد الفنانين "الّذي يُغَنّيْ ألَمَهُ.. يَنْسَاه"(ماتشادو). وكأنه يودّ أن يقول أنّ

[1] واسيني الاعرج، سيدة المقام، ، ص275.

الحرية لا تأتي هنا بالشعارات، بل بـ"النغمة" كأثر داخلي. كما تبرز هناك لحظات تعي فيها الشخصية الروائية أن إستمرار عزفها ليس ترفًا، بل هو نوع من المسؤولية تجاه الذاكرة، وتجاه الموتى الذين لا يستطيعون الكلام.

ففي أحد المقاطع، يُشير الحاكي إلى أن مريم وهي تناديه:" اسمع، اسمع، مسكود[1] مسكين. المجنون العظيم الذي سرقوا منه مدينته الجميلة.

وِينْ نْجِي بَابَا سَالَمْ.

سَنجَاقْ. طْبُولْ وَمْحَارَمْ.

وَغْواشي عْلِيْهْ مْلَايَمْ.

مَاذا بْناْ ذُوكْ السِّنينْ.

غَابَتْ النِيّهْ يَا فَاهَمْ

رَاحْ ذَاكْ الوَقْتْ الزَّيْنْ)."[2]

هذا يُبرز كيف أن إختاره المقطع الغنائي إلى جانب الرقص الذي يُعدّ فعلًا من أفعال الحرية والوجود. فمن خلال هذه الأحداث، تُظهر الرواية أن الرقص والغناء ليست مجرد فن، بل هي وسيلة للتعبير عن الحرية والكرامة الإنسانية، وتُبرز كيف يمكن للفن أن يكون سلاحًا في مواجهة القمع والظلم.

يمكن الإشارة أيضًا إلى أنّ صوت الرواية، رواية "سيّدة المقام" لواسيني الأعرج هو نفسه موقف: فأسلوب واسيني، بنبرته الرثائية والمحتجة، هو في ذاته "فعل حرية ومسؤولية ككاتب"، يرفض الحياد، ويمنح اللغة من خلال الكتابة السردية صوتًا إنسانيًا يصرخ من أعماق الجراح والآلام والمعاناة.

والرواية عمومًا تُظهر أن الحرية ليست فقط في الإختيار، بل في تحمل تبعات هذا الإختيار، خاصة عندما يتعلق الأمر بمصير الآخرين. البطل، بعد فقدان مريم، يُدرك أن الصمت أو الهروب ليسا خيارين، وأن عليه مواجهة الواقع، حتى وإن كان ذلك يعني التضحية بنفسه.

---

[1] مغني شعبي جزائري.

[2] سيد واسيني الاعرج، سيدة المقام، ص193.

من خلال هذه الشخصيات والأحداث، تُبرز الرواية أن الحرية الحقيقية تتطلب وعيًا بالمسؤولية تجاه الآخرين، وأن الصمت أو الانعزال في وجه الظلم يُعد تواطؤًا. وبذلك، تُقدم "سيدة المقام" لواسيني الأعرج رؤية عميقة للحرية كمسؤولية أخلاقية تتجاوز الفرد لتشمل المجتمع بأسره.

"الوجوديون أن الاختيار البشري عملية ذاتيّة، لأن الأفراد في النهاية يجب أن يختاروا اختياراتهم دون تأثير من المعايير الخارجيّة كالقوانين وقواعد الأخلاق أو التقاليد وهم بذلك أحرار ونظرا لأنّهم يختارون بحريّة فإنّهم مسؤولون تماما عن اختياراتهم"[1]

[1] فياض (حسام الدين) : نقد رؤية الفلسفة الوجوديّة للإنسان والواقع الاجتماعيّ ، دراسة تحليلية نقديّة، مأخوذة من موقع الإلكتروني تبيان نصنع الوعي بتاريخ 6 أكتوبر 2021https://tipyan.com/criticism-of-the-existential-philosophy-of-man.

خلاصة:

نستخلص أنّ رواية "سيدة المقام" لا تقول إن الإنسان حرّ، بل تقول: الإنسان يجب أن يكون حرًا، رغم كل شيء. وأنّ كل حرية حقيقية، لا بد أن تقترن بالمسؤولية: تجاه الذات، وتجاه الحياة، وتجاه من لا يستطيع الدفاع عن نفسه.

يجسد واسيني الأعرج في رواية سيدة المقام صورة الإنسان الحر في الرمز وهي "مريم" أنّ الإنسان الحرّهو الإنسان الذّي يتحرّر من جميع القيود التّي تمنع التمتعّ بالحياة من قبِل الإنسان.

ومن خلال شخصيات الرواية يبرز أن الحرية تستدعي مسؤولية

خاتمة

الخاتمة

أفض البحث في تجليات الفلسفة الوجودية في رواية " سيدة المقام" لواسيني الأعرج إلى جملة من النتائج وهي كالتالي:

-الفلسفة الوجودية أعطت للكاتب بعدا واقعيا لتصوير الأحداث العبسية في زمن العشرية السوداء.

- لم تقتصر الفلسفة الوجودية على العالم الغربي بل كان لها حضور بارز في أعمل الإبداعية الأدبية العربية ولا سيما الرواية، تجلت في إصغاء المبدعين إلى نداءات الذات والسعي للحرية وتحمل المسؤولية.

- لقد أعادت الفلسفة الوجودية تشكيل هوية المبدع العربي، بوصفه كائن مفكر بوعي وصوت للواقع السياسي والإجتماعي المؤلم.

- يمكن القول بأن الرواية العربية المعاصرة بقدر ما تبنت الفكر الغربي، بقدر ما بلورت الرؤية المبدع للكتابة لما بعد الحداثة، من خلال البذور الفلسفية التي حملت في طياتها.

- يقدم لنا الروائي صورة مؤلمة للواقع السياسي والاجتماعي للجزائر بعد أحداث أكتوبر1988م وما يعكس رؤيته الوجودية للواقع من خلال سرد لأحداث العنف والموت.

- يرى واسني أن الإنسان الحر هو الذي يتحرر من جميع القيود التي تمنع التمتع بالحياة مصورا سيدة المقام رمزا للحرية الذاتية للمرأة المعاصرة لكسر الهيمنة الذكورية.

يشكل الزمن والمكان لرواية " سيدة المقام" فضاءً خصبا يجمع رحابة الفكر وجمالية السرد، في تقنية يعتمدها الراوي للتعبير عن قضايا جوهرية إنسانية.

- تعد شخصية "مريم" صورة تعكس ذات المرأة في زمن اللامبالاة في بناء عالم الرواية وتجسد ابعاد ودلالات عميقة عمق المعاناة، كما استطاع الحاكي أن يغوص داخل أعماق البطلة ويعبر من خلالها عن قضايا المرأة بصفة عامة.

- يستمد الراوي من تيمة الموت صرخة الحرية والمسؤولية، ما يؤهل الانسان لتجربة حياة جديدة.

- تمثل رواية سيدة المقام خريطة في الفكر الفلسفي الباحث عن اسرا ر الوجود ومنافذ العدمية، ومعانيهما من خلتل استنطاق الكيان الإنساني الجزائري والبحث في صراعه مع ذاته – من خلال ما اتى من مضمون هذا الخطاب السردي الجزلئري المعاصر نجد تأثيثا لرؤى فلسفية واقعية تعرض حقائق تاريخية ولاكن ببصمة فنية سردية تستقي جماليتها من منبع السياق الفلسفي الوجودي.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

1) واسيني الاعرج، سيدة المقام، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر،2007.

المراجع

1/-الكتب

2) إبراهيم حيدري، سسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان،2015.

3) إبراهيم، صنع الله .اللجنة، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1981.

4) احمد فلاق عروات، فكرة الموت في التراث العربي، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2005.

5) احمد فلاق عروات، فكرة الموت في التراث العربي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.

6) أحمد هاشم السامرائي، استنطاق المجهول قراءة في تراث الأديب غسان كنفاني، موسوعة دراسات وأبحاث في الأدب الفلسطيني الحديث، الجزء الرابع.

7) إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ترجمة ثائر ديب، دار الآداب، 2002.

8) إدوارد سعيد، تمثيلات المثقف، ترجمة فواز طرابلسي، دار .

9) ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ترجمة جورج أبي صالح، دار الآداب.

10) بول ريكور، الذات كآخر، ترجمة جورج كتورة، المركز الثقافي العربي، 1992.

11) توماس أر فلين، الوجودية: مقدمة قصيرة جدا، تر، مروة عبد السلام، هندواوي، القاهرة مصر، ط1، 2014.

12) الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية.

13) جان بول سارتر، ما الأدب؟، ترجمة عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، 1996.

14) جون بول سارت، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة عبد المنعم الحفني، الدار المصرية للنشر، مصر، ط1، 1964.

15) جون بول سارتر، الوجودية نزعة إنسانية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب

16) جون ستيوارت ميل، عن الحرية، ترجمة كمال السيد، دار التنوير

17) جون ماكوري، الوجودية، امام عبد الفتاح، عالم المعارف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت،1982.

18) جون ماكوري، الوجودية، تر، امام عبد الفتاح امام، عالم المعرفة العدد 58، كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت،1982.

19) حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006.

20) ريتشارد كيرني، الغيرية: أخلاقيات الآخر، ترجمة وجيه قانصو، المركز العربي للأبحاث، 2014.

21) صمويل بيكت، في انتظار جودو، تر، بول شاول، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، بغداد-بيروت، 2009.

22) عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مؤسسة هنداوي، ط1، 2014.

23) عبد الرحمان منيف، شرق المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1975

24) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر.

25) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد، موفم للنشر، الجزائر.

26) عبد الرحمن بدوي، الوجودية في ميزان الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، 1962

27) عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات.

28) عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، دار الكتب العلمية

29) عزيز الحدادي، العالم العربي في ضيافة العدمية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، بيروت –لبنان.

30) الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق ألبير نصري نادر.

31) مجموعة من الكتّاب، المسرح العربي مسيرة تتجدد، وزارة الإعلام، 2012، الكويت

32) محمد عناني، مصطلحات الفلسفة الوجودية عند مارتن هيدغر، مؤسسة هنداوي، 2012.

33) منى أحمد أبو زيد، المدينة الفاضلة عند ابن رشد، منشأة المعارف، مصر، 2000.

34) منيف، عبد الرحمن .شرق المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1975.

35) ميلان كونديرا، فن الرواية، ترجمة صالح الآداب، 1993علماني، دار المدى، 1999.

36) واسيني الأعرج، الليلة السابعة بعد الألف، دار الآداب، بيروت، 2004.

2/-المجلات

1) أسماء بن عاشور، النقد الوجودي عند سارتر، مجلة الآداب، العدد14، جامعة الاخوة منتوري ، قسنطينة، (بد-ت).

2) بن عاشور أسماء، النقد الوجودي عند سارتر، مجلة الآداب، العدد14، ص232.

3) صفاء طلعت مدكور، نحو فلسفة تربوية معاصرة لتعزيز ثقافة المقاومة- دراسة تحليلة في بعض نماذج الأدب العالمي، "حطاب ألبير كامو، مجلة كلية التربية، المجلد19، العدد115 جامعة طنطا،2022.

4) عامر شطارة، جدلية الطبيعة والثقافة في الفكر الحديث، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، مج11، عدد1، 2018.

5) عبد العزيز بو الشعير، محورية الإنسان في حركة التاريخ عند مالك بن نبي، مجلة كلمة، عدد91، 2016

6) عبيدي فاطمة، ماهية العنف، مفهومه انواعه مظاهره أهم النظريات المفسرة له، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، المجلد24،العدد1، جوان2023.

3 /-المذكرات

1) مونيس بخضرة واخرون، مقاربات فلسفية لنصوص روائية جزائرية، عنف الخطابات العشرية السوداء في الجزائر، مقاربة فيمينولوجية للاعمل الروائية "ياسمينة خضرة"، مونسي بحضرة، النشر الجديد، جامعة تلمسان ، الجزائر، 2016.

4/-المو اقع الإلكترونية

2) إبراهيم بيرسي، رواية" اللجنة" لصنع الله إبراهيم تساءل الرواية أنظمة القمع؟، تاريخ النشر2025،05،30 صحيفة مداميك ... ‹ https://www.medameek.com

3) أحمد ابراهيم بول إيلور "ولدت كي اسميك، اسميتها الحرية" اليوم السابع، https://www.youm7.com/story/2014/11/11/

4) تحليل رواية " رجال في الشمس" لغسان الكنفاني، تاريخ النشر، 07-04- 2025، نبض العربhttps://www.nabdalarab.com

5) رشا عمران، الأرض اليباب. نبوءة إليوت والعلم الثالث، تلفزيون سوريا، دمشق،2022/03/30، https://www.syriatv

6) عبد الحفيظ بن جلولي، رواية(باب الشمس) فلسطين وإنسانية الكتابة في أدب إلياس الخوري، تاريخ النشلر،26-09-2024، القدس العربي https://www.alquds.co.uk

7) فياض (حسام الدين) : نقد رؤية الفلسفة الوجوديّة للإنسان والواقع الاجتماعيّ ، دراسة تحليلية نقديّة، مأخوذة من موقع الإلكتروني تبيان نصنع الوعي بتاريخ 6 أكتوبر 2021-https://tipyan.com/criticism-of-the-existential-philosophy-of-man.

8) ملاك أشرف، هدى بركات.. وعمق التساؤل عن حرث المياه؟ القدس العربي، تاريخ النشر2024،02،26، القدس‹ https://www.alquds.co.uk

9) هناء عبيد، قراءة في رواية شرق المتوسط للروائي عبد الرحمان منيف، تاريخ النشر،01-01-2015، شيكاغو، أمريكا، دنيا الرأي ‹ https://pulpit.alwatanvoice.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الشكروالعرفان 4

الاهداء.....5

المقدمة .....أ

المبحث الأول: الفلسفة الوجودية في الفكر الغربي. 9

1.1- الفلسفة الوجودية: نشأتها، والأعلام، وأهم أفكارها 9

2- تأثيراتها في الفكر والفن العالمي:.....12

المبحث الثاني: الفلسفة الوجودية في الفكر العربي 14

1- استقبال الفلسفة الوجودية في السياق العربي.....14

2: تمثيل الوجودية في الرواية العربية 15

المبحث الثالث: الفلسفة الوجودية في الرواية العربية المعاصرة.....16

1- الوجودية والوعي العربي.....16

2- تمثّلات الفلسفة الوجودية في الرواية العربية.....17

بين الترجمة والتمثّل: من التأثر إلى الإبداع 17

3- الوجودية من الفلسفة إلى الأدب.....20

المبحث الرابع: أثر الفلسفة الوجودية في تشكيل الهوية السردية لدى الروائي العربي 20

1-تقاطعات بين الفلسفة الوجودية والرواية العربية:.....20

2- الرواية كأداة تفلسف وجودي.....21

خلاصة:.....23

الفصل الثاني:الأثر الوجودي في رواية سيدة المقام.....24

المبحث الأول:سردية العنف وحتمية الموت.....25

1-سردية العنف:.....25

2-حتمية الموت: 30

المبحث الثاني: السرد وما وراء الحدث من منطلق العبث واللامنطق.....34

1-منطلق العبث واللامنطق.....34

2-في مكاشفات المكان 36

المبحث الثالث: الوجودية الإنسانية 38

1-الإتجاه الإنساني في الفكر والأدب: 38

2-الجانب الإنساني في روايات واسيني الاعرج:.....42

المبحث الرابع :الحرية والمسؤولية في الفكر والأدب 45

1-الحرية والمسؤولية في رواية سيّدة المقام.....47

2- الحرية مسؤولية تجاه الآخر:.....49

خلاصة:.....53
الخاتمة.....55
قائمة المصادر.....58
المراجع.....58
فهرس المحتويات.....63
الملاحق.....66

الملاحق

الملاحق

السيرة الذاتية للمؤلف واسيني الأعرج :

واسيني الأعرج ولد في 8 أغسطس 1954 بقرية سيدي بوجنان الحدودية (تلمسان)، روائي وجامعي جزائري معاصر. يشغل حالياً منصب أستاذ كرسي في جامعة الجزائر المركزية وجامعة السوربون في باريس. يعد من أهم الروائيين في العالم العربي، بكتب أعماله باللغتين الفرنسية والعربية وقد أثارت رواياته جدلاً كبيراً. نال واسيني الأعرج العديد من الجوائز على أعماله منها جائزة أفضل خمس روايات في فرنسا عن رواية حارسة الظلال عام 1997 وجائزة الرواية الجزائرية عن مجمل أعماله عام 2001 وجائزة المكتبيين الكبرى عام 2006 عن كتابه الأمير وجائزة الشيخ زايد للكتابة عام 2007 تم ترجمة أعمال الكاتب واسيني الأعرج لعدة لغات مثل الفرنسية والإيطالية الأسبانية والسويدية والدنمركية والعبرية والإنجليزية والألمانية. حصل واسيني الأعرج على الليسانس من كلية الآداب واللغات من جامعة وهران الجزائرية، كما حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة دمشق

أعماله الأدبية :

رواية البوابة الحمراء (وقائع من أوجاع رجل) دمشق، الجزائر، 1980 .

رواية طوق الياسمين (وقع الأحذية الخشنة)، بيروت، 1981 .

رواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، دمشق، 1982 .

نوار اللوز، بيروت، 1983 ، باريس للترجمة الفرنسية، 2001 .

رواية مصرع أحلام مريم الوديعة، بيروت، 1984.

رواية ضمير الغائب، دمشق، 1990 .

رواية الليلة السابعة بعد الألف الكتاب الأول ، رمل الماية، دمشق، الجزائر، 1993.

رواية سيدة المقام، دار الجمل، ألمانيا - الجزائر، 1995

رواية حارسة الظلال الطبعة الفرنسية، 1996 ، الطبعة العربية، 1999 .

رواية ذاكرة الماء، دار الجمل، ألمانيا، 1997 .

رواية مرايا الضرير باريس للطبعة الفرنسية، 1998 .

رواية شرفات بحر الشمال، دار الأدب، بيروت، 2001 ،باريس للطبعة الفرنسية

رواية مضيق المعطوبين، الطبعة الفرنسية ، 2005.

رواية كتاب الأمير ، دار الآداب، بيروت، 2005

-رواية بيت الأندلسي، دار الجمل ، 2010 .

رواية جملكية أرابيا ، منشورات الجمل 2011

رواية مملكة الفراشة 2013

-رواية رماد الشرق الجزء الأول، خريف نيويورك الأخير، 2013 .

رواية رماد الشرق الجزء الثاني، الذئب الذي نبت في البراري، 2013.

رواية سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني، 2014 .

رواية سوناتا لأشباح القدس

رواية أصابع لولينا 2014

رواية نساء كازانوفا 2016

الجوائز:

1997 : ، اختيرت رواية حارسة الضلال ضمن أفضل خمس روايات، صدرت بفرنسا ونشرت في أكثر من خمس طبعات متتالية .

تحصل في 2001 على جائزة الرواية الجزائرية على مجمل أعماله .

تحصل في 2006 على جائزة المكتتبين الكبرى على روايته كتاب الأمير_ .

تحصل في 2007 على جائزة الشيخ زايد للآداب .

تحصل في 2008 على جائزة الكتاب الذهبي في معرض الكتاب الدولي على روايته سوناتا لأشباح القدس .

في 2009 احتفى معهد اللغة العربية و آدابها بالجزائر بتكريم الروائي المتميز واسيني الأعرج بتنظيم ورشة أدبية خاصة تتناول أعماله الأدبية.